بسم الله الرحمن الرحيم

علـــوم اللغـــة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتـاب دورى

مج ١٠ ، ع ٣ ، ٢٠٠٧

© حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابى من الناشر

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٣٨ ش أ ت (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
الفصحى والحضارة	٩-٦٩
د. علي هنداوي	
الهاء العربية الصوت والوظائف (دراسة توليدية)	٧١-١٥٠
د. رضوان منيسي عبد الله	
مفهوم اللغة في ضوء اللسانيات الحديثة	١٥١-١٨٢
د. محمد محمد محمد الخربي	
القضايا الصوتية والصرفية «في فاتحة الكتاب»	١٨٣-٢٦٢
د. عامر صلاح محمد	
مصطلح المعجمية عند ابن خلدون	٢٦٣-٣٢٢
د. خالد فهمي إبراهيم	

الهاء العربية
الصوت والوظائف
(دراسة توليدية)

د. رضوان منيسى عبد الله
مدرس اللغويات ـ كلية آداب بنى سويف

تمهيد

الموضوع :

تقوم فكرة البحث على دراسة الهاء العربية فى إطار مجموعة من العلاقات الصوتية، والنحوية والدلالية التى تبرز الوظائف والخصائص المختلفة لصوت الهاء؛ وذلك لما للهاء من أدوار لغوية متعددة الجوانب تفتح مجالاً للبحث النظرى والتطبيقى. وقد قسمت البحث إلى تمهيد، وموضوع، وخاتمة.

التمهيد: يتحدث عن الهاء والوصف الصوتى لها بين القدماء والمحدثين والنظر إليها باعتبارها وحدة صوتية (فونيم) داخل تشكيلات لغوية ثم يعرض لمنهج البحث.

أما موضوعات البحث الأساسية فقد انتظمت على النحو التالى:

أولاً: هاء الضمير، وتشمل الضمير المنفصل والضمير المتصل.

ثانياً: هاء التنبيه؛ باعتبارها سابقة صوتية.

ثالثاً: هاء السكت؛ باعتبارها لاحقة صوتية.

رابعاً: هاء التأنيث؛ باعتبارها وحدة صوتية مولدة.

الخاتمة: اشتملت على النتائج العامة للبحث حيث تذكر النتائج التفصيلية فى مواضعها من البحث بالإضافة لاشتمال الخاتمة على المصادر والمراجع.

ولا أزعم أننى قد أحطت أو استقصيت كل ما يتعلق بصوت الهاء فى العربية؛ ولكنى أحسب أننى قد حاولت ما وسعتنى المحاولة أن أقدم صورة بنائية متكاملة للهاء العربية بصورة جديدة، أحسب أنها نافعة ولِمَنْ سبقنى فضل السبق، ولِمَنْ استدرك علىَّ فضل التدقيق والتحرى، واستغفر الله من الخطأ والإساءة.

المنهج:

إن دراسة الخصائص الصوتية والدلالية لصوت الهاء العربية وفق المنهج البنيوى التوزيعى يتطلب مجموعة من الإجراءات التصنيفية التى تكشف لنا عن تلك الخصائص[1]، تتمثل فى الخطوات التالية:

١ ـ التجزئة: وتشمل تقسيم الأدوار الدلالية والتشكيلات الصوتية لصوت الهاء. وقد بينت القراءة المبدئية وجود ثلاثة عناصر دلالية أساسية لفونيم الهاء وهى: هاء الضمير (الكناية)، وهاء التنبيه، وهاء السكت، والقاسم المشترك بينها هو الانتماء إلى وحدة صوتية أساسية واحدة بتشكيلات متنوعة.

٢ ـ الاستبدال: تعد الأجزاء الممكن تبادلها عناصر صوتية متماثلة وتسمى البدائل الحرة أو تحقيقات لوحدة صوتية (فونيم).

٣ ـ تحديد محيطات كل عنصر من العناصر السابقة لكى يمكن

مقارنة العلاقات الأفقية (النحوية) بالمحيطات وهى الأجزاء المتجاورة مباشرة.

٤ ـ التصنيف لكل عنصر من العناصر الصوتية حسب الحركات والصوامت وكذلك تصنيف العناصر الدلالية وفق معطيات المعانى النحوية (الأسماء والضمائر وما يلحق بها والأفعال وأسماء الأفعال وما يلحق بها).

٥ ـ مقارنة التوزيعات وذلك من خلال رصد العناصر الصوتية والدلالية على أكثر من مستوى من مستويات الشواهد اللغوية. فهناك القراءات القرآنية ومأثور كلام العرب من الشعر والنثر ولغات القبائل.

٦ ـ النظر إلى فونيم الهاء على أنه عنصر لغوى تحدد وظائفه من خلال موقعه فى النظام اللغوى ومن خلال علاقاته الأفقية (المحيط) وعلاقاته الجدولية (إمكانية الاستبدال وعدمه). ويرتبط الوصف كذلك بإجراءات الكشف عن العناصر البنيوية المكونة والمناهج التى تسوغها للدراسة والوصف والتحليل. ويمكن أن نقول بأننا لا ندرس الهاء بحسبها عنصراً صوتياً فقط، ولكن بالنظر إليها باعتبارها عنصراً صوتياً ولغوياً معاً.

صوت الهاء:

نظر العلماء إلى صوت الهاء على أنه صوتٍ حلقى يخرج من أقصى الحلق[٢] (أسفله)، وهو قريب من النقطة التى تنتج منها الهمزة. وهذا التحديد لا يبعد كثيراً عن تحديد المحدثين حيث ينظرون إلى الهاء بكونها صوتاً حنجرياً[٣]، والحنجرة فى عرف القدماء هى أقصى الحلق وأسفله أو صوت مزمارى يخرج من فجوة لسان المزمار الذى يسد الحنجرة.

والهاء عند سيبويه موصوفة بالرخاوة والهمس والانفتاح[٤]. أما عند

الخليل فتقع الهاء فى المجموعة الصوتية الناتجة من أقصى الفم فهى تقع وسطاً عنده فى الترتيب بين العين الحاء من جهة والخاء والغين من جهة أخرى (ع ح هـ خ غ)، وقد أضافوا لها الهمزة وجعلوها مجموعة الأصوات الحلقية، وصارت الخصائص الصوتية لتلك المجموعة تنطبق على مفرداتها الصوتية مع أن الأحياز الموضعية والصفات الأكوستيكية ونسبة الوضوح السمعى مختلفة من صوت إلى آخر.

ونحاول هنا أن نقدم وصفاً للهاء يُبين أهم صفاتها كفونيم صوتى مستقل، ويوضح علاقاتها الصوتية داخل المجموعة الصوتية المنتمية إليها وكذلك الخارجة عنها وأقرب فونيمات صوتية ذات علاقة.

كيف يحدث صوت الهاء؟

تتكون الهاء العربية عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة (كالفتحة مثلا)، ويمر الهواء خلال الانفراجة الواسعة (نسبياً) الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة، حيث يرفع الحنك اللين (الطبق)؛ فلا يمر الهواء من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية محدثاً صوتاً احتكاكياً مهموساً يخرج من الحنجرة[٥].

والهاء فى هذا الوصف الصوتى تنتمى إلى ما يعرف بالانطلاقيات الاحتكاكية التى تشترك فى خاصية عدم توقف تيار الهواء فى أثناء النطق بها[٦] وتمتاز من سائر الانطلاقيات عموماً بحدوث تقارب شديد بين العضوين الناطقين ينشأ عنه تضييق لممر الهواء عند نقطة المخرج، وحدوث حفيف أو احتكاك مسموع، وهذا الاحتكاك ناتج عن اندفاع الهواء خارجاً من خلال المضيق، وتصادم ذرات الهواء بعضها ببعض واحتكاك الدوامة بالسطوح الملامسة من قناة الصوت[٧].

ويختلف شكل المضيق وحجمه عند النطق بصوت من تلك الأصوات الانطلاقية ومن بينها الهاء، فتارة يأخذ شكلاً أخدودياً كما يحدث مع السين والشين والزاى grove - like shape وقد يأخذ شكلاً طولياً شقياً slit - like shape كما يحدث مع صوت الخاء[٨]. ويبدو أن شكل المضيق مع الهاء يأخذ شكلاً طولياً شقياً ويبين علماء الأصوات أن تلك الأصوات التى تمتد من منطقة اللهاة حتى المزمار هى أصوات ذات مخرج رأسى وهى أصعب فى الفحص الصوتى؛ لأن أفلام (أشعة إكس) لم تظهر حركات عضلات الحلق، وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفى للحلق، ولذلك لم تكن النتائج كاشفة كما كان متوقعاً[٩].

وتلتبس فى صوت الهاء صفة الجهر وصفة الهمس لقربها من وضع الحركات عند المحدثين، فذهب د. «إبراهيم أنيس» إلى أنها صوت مهموس غالباً يجهر به فى بعض الأحيان[١٠] وأيده فى ذلك د. «سعد مصلوح» فهو عنده من الانطلاقيات المهموسة غالباً وليس حتماً[١١] وذهب د.تمام حسان[١٢] إلى أنه صوت فيه بعض الذبذبة فهو مجهور بينما قطع د. أحمد مختار عمر ود. كمال بشر[١٣] بأنه صوت مهموس وجمع د. رمضان عبد التواب بعضاً من هذه الآراء وذهب إلى أنه صوت مهموس وأن الهواء يخرج عند نطقه لصوت الهاء مثل خروجه فى حالة الزفير الاعتيادية، ولولا الحفيف أو الاحتكاك بمنطقة الأوتار الصوتية لما سمع غير صوت الزفير العادى، وانعدام الذبذبة هو الذى يميزه عن الحركات[١٤]. ونخلص من ذلك إلى مايلى:

ـ صوت الهاء يخرج من الحنجرة فهو استمرارى حنجرى (مزمارى).

ـ صوت احتكاكى، ويتفارق مع صوت الهمزة لكونها من الوقفيات والهاء من الانطلاقيات.

ـ شكل المخرج عند النطق بالهاء يشبه شكل المخرج عند نطق الفتحة.

ـ الهاء صوت مهموس لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية، وهو ما يميزه عن الحركات فإذا جُهر اشتبه بالحركات.

وإذا نظرنا إلى صوت الهاء نظرة فونيمية وظيفية نجد أنه يمثل ألفبائية هجائية فى اللغة العربية، تشكل وحدة صوتية قادرة على إيجاد تغيير دلالى[١٥]. فالهاء فى كلمة: هِلال، قادرة على إيجاد مفارقة دلالية عن كلمة: ظِلال، وكلمة هَجْر تختلف عن كلمة فَجرْ، والهاء فى كلمة رَهِب قادرة على تغيير المعنى عن رَغِب، وكذلك الحال بين وَجْهُ ووَجْدُ. وهو صوت أصيل فى اللغة العربية وكذلك فى أخواتها الساميات فكلمة هِلال فى العربية تقابلها helal فى الحبشية وheylel فى العبرية[١٦]. وتشترك الهاء مع مجموعة الحروف الحلقية (الأصوات عميقة المخرج) فى بعض الخواص الصوتية والصرفية فى اللغة العربية، منها أن الفعل على وزن فَعَل يَفْعَل بفتح العين فى الماضى والمضارع لا يقع إلا إذا كان عين الفعل أو لامه من حروف الحلق مثل (ذهب، زهد، وهب) مضارعها مفتوح العين (يذهب، يزهد، يهب).

ومن هذه الخواص اللهجية جواز تحريك الاسم الثلاثى ساكن العين بالفتح إذا كانت هذه العين حرف حلق حسب اللهجة التى تنتهى إليها، فيقال مثلاً نَهَر وبَحَر بفتح الهاء والحاء[١٧]. وكذلك (الرَّهْب) فى القصص[١٨]، جاء فى قراءات سبعية بفتح الهاء لغةً بمعنى الخوف[١٩]،

ولَهَب جاءت ساكنة عند ابن كثير ومفتوحة عند الآخرين، ومثل ذلك: ﴿إن الله مبتليك بنَهرٍ﴾، كما فى قراءة حفص عن عاصم. واللغة المشهورة بسكون الهاء[٢٠].

والميل نحو الفتح فى صوت الهاء ملحوظ فى أخوات العربية، فكلمة (نَهْر) العربية يقابلها فى السريانية nahra، والهاء تنطق ساكنة فى اللغتين ويتحول السكون إلى حركة مركبة فى الآرامية nahṟa تميل نحو الفتح وإلى فتحة طويلة فى اللغة العبرية nāhar[٢١] وفتحة قصيرة فى اللغة العربية فى بعض القراءات (نَهَر) كما رأينا. وبيَّن ابن الباذش أنه لاخلاف بين القراء السبعة فى نطق الهاء على ما هى به من السماع من إعراب أو بناء (حركة أو سكون) مثل: (هداهم الله)[٢٢]، (ويهْدى الله)[٢٣].

أولاً: هاء الضمير

هاء الضمير التى للغائب توجد على نمطين: أحدهما له صورة مستقلة فى الكلام؛ وهو ما يعرف بالضمير المنفصل، والنمط الثانى يأتى متصلاً بغيره من الأسماء والأفعال والحروف وليس له صورة مستقلة؛ ويعرف بضمير الكناية وبخاصة عند القراء.

(أ) الضمير الغائب المنفصل:

قال سيبويه: (وأما المضمر المحدث عنه فعلامته: (هُوَ)، وإن كان مؤنثاً فعلامته (هِى)، وإن حدثت عن اثنين فعلامتهما (هما)، وإن حدثت عن جميع فعلامتهم (هم)، وإن كان الجميع جمع مؤنث فعلامته (هنّ)[٢٤].

ونُقِل عن أبى على الفارسى أن هذه الألفاظ ألفاظ مرتجلة وهى الضمير بجملتها[٢٥]. وهذا ما عليه أغلب البصريين.

وذهب الكوفيون، والزجّاج وابن كيسان إلى أن الهاء من (هُو) والهاء من (هى) هى الاسم والواو والياء مزيدتان للتكثير.

وقال أبو حيان: وتأوّله ابن كيسان على سيبويه[٢٦]، وهناك آراء تقول أن الأصل فى ذلك الضمير (هو)، ثم قالوا: هومو وهون، وهذه زوائد على أصل الضمير[٢٧].

وفى تعليقه على إحدى القراءات الشاذة قال أبو حيان: «وحذف الواو من الضرورات فتقول (هـ) و(هِـ)[٢٨].

أشكال الضمير المنفصل فى لغات العرب:

وأشهر اللغات إثبات الواو والياء مفتوحتين مخففتين (هُوَ وهِىَ).
ويجوز تسكين الهاء فى حالات خاصة[٢٩]، ويسكنها قيس وأسد يقولون:

(هُو) و(هِى)[٣٠]، وحكى الكوفيون تشديدها (هُوَّ و(هِىَّ)، قال ابن مالك هى لغة همدان[٣١].

ومن خلال العرض السابق لتفسير أشكال الضمير المنفصل ومعرفة أشكال وجوده فى اللغة الفصحى ولهجات العرب يمكن أن نقدم رؤية تحليلية من خلال منهج المدرسة التوليدية فى الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

الهاء المضمومة (هـــ ـــ) هى الوحدة الصوتية الأساسية التى تحمل الدلالة الاسمية لضمير الغائب سواء أكان ضميراً منفصلاً أو متصلاً، ويؤيد ذلك عدة أمور:

١ ـ ما صرح به الكوفيون والزجاج وابن كيسان من أن الهاء من (هُو) و(هِى) هى: الاسم والواو والياء مزيدتان للتكثير.

٢ ـ وجود ضمير منفصل فيما نقله أبو حيان (هـُــ) للمذكر و(هِــ) للمؤنث، وإن رأى أبو حيان أن حذف الواو والياء ضرورة، فإننا نرى أن هذا من بقايا المرحلة الأولى فى تطور الضمير وأنه الأصل وأن الواو والياء زيادة فى الحركة طارئة على الضمير.

٣ ـ ما يوجد فى اللهجات العربية المعاصرة عند أعراب مصر من نطق الضمير للمذكر بضمة تارة طويلة وتارة أخرى قصيرة.

٤ ـ علامة التثنية وعلامة الجمع بنوعيها تقوم دليلاً على أن الوحدة الصوتية الأولى هى الهاء المضمومة.

ـ هـــ ـُـ + ما ⟵ هُمَا للمذكر والمؤنث

ـ هـــ ـُـ + م (الجمع ⟵ هُمْ لجمع المذكر

ـ هـــ ـــُ + ن ـــَ (نون النسوة)

(ضُعِّفت النون لتعميم الحالة)

ـ هـــ ـــُ ن ن ـــَ هُنَّ ←—— لجمع المؤنث

فالعماد الأساسى لكل ذلك؛ هو الهاء المضمومة فقط. وهذا التفسير عندى أولى من التفسير الذى نقله أبو حيان من أن «هو» أضيف لها (ما) ثم قصرت الحركة (أو حذفت الواو) لأن ذلك يتعارض مع وجوة الضمير (هِىَ) للمؤنث.

٥ ـ اتفاق هذه الصيغة (هـــ ـــُ) مع الضمير المتصل فى القيمة الصوتية والوظيفة الدلالية.

لذلك تعد الهاء المضمومة هى أقدم صيغة للضمير الغائب، وهى أصل الضمير المنفصل. أما صيغة ضمير المؤنث (هـ ـــِ) فقد وقعت من باب المخالفة للمذكر فكما أن الكسرة دلت على التأنيث فى أنتِ، ولكِ وكتبتِ فى خطاب المؤنث جاءت الكسرة مورفيماً للتآنيث مع الهاء فى مرحلة لاحقة،وبخاصة أن الكسرة تتعاقب مع الضمة فى اللغة الفصحى.

الخطوة الثانية:

تطويل (إشباع) حركة الضمة فى المفرد المذكر هـ ـــُ ←—— هـ ـــ ـــــ وكذلك فى المفرد المؤنث هـ ـــِ ←—— هـ ـــ ـــِ (بعد اختصاص) الصيغة الأصلية بالمذكر والصيغة المتعاقبة معها بالمؤنث) . وهذه الصيغة هى لغة قيس وأسد وتميم(٣٢)، وقرئ بها فى القراءات القرآنية(٣٣)،وهى مرحلة من التطور تشترك فيها العربية مع أخواتها من اللغات السامية حيث نجدها فى العبرية والسريانية للمذكر وللمؤنث(٣٤).

ويرى القدماء أنها زيدت (أى الواو والياء) للتكثير، وبالمفهوم التوليدى زيدت الحركة فى الكمية أو المدة الزمنية فصارت حركة طويلة.

الخطوة الثالثة:

تحولت الحركة الضيقة (الضمة، والكسرة) إلى صوت انزلاقى؛ لوجود حركة فتح بعدها (صامت شبيه بالحركة) وقد اتخذ ذلك اتجاهين:

الأول: اتجاه اللغة الفصحى تحول الحركة الضيقة (الضمة، أو الكسرة) إلى صوت انزلاقى مخفف هـ ـــ ـــ> هـ ـــ و ـــ ذلك فى حالة الوصل هـ ـــ ـــ> هـ ـــ ى ـــ.

وللحفاظ على الصوت الانزلاقى عند الوقف وقيمته الصوتية الجديدة لجأت بعض اللهجات العربية التى هى مصدر رئيسى من مصادر الفصحى لاجتلاب هاء السكت عند الوقف مثل هُوَهْ وهِيَهْ، بينما اكتفت لهجات أخرى بالعودة إلى المرحلة السابقة عند الوقف هـ ـــ ـــ وهى ـــ ـــ. وقد حفلت كتب التراث بذلك، وهو ما نعرض له بالتفصيل فى الجزء الخاص بهاء السكت.

الثانى: تتحول فيه الحركة الثانية إلى صوت انزلاقى مُضَعَّف لتكثير اللفظ.

هـ ـــ ـــ ـــ> هـ ـــ و و ـــ (هُوَّ)

هـ ـــ ـــ ـــ> هـ ـــ ى ى ـــ (هِىَّ)

وهو اتجاه لغة همدان ومن جاورها (وهو ما نسمع فى لغة سكان القاهرة وعامة المصريين).

(ب) : ضمير الغائب المتصل:

ويسميه الكوفيون هاء الكناية، وهو فى عرف القراء هاء الضمير التى يكنى بها عن الواحد المذكر الغائب، وحقها الضم إلا أن يقع قبلها كسر أو ياء ساكنة فحينئذ تكسر ويجوز الضم كما قرئ به فى (لأهلهُ امكثوا) و(ما أنسانيهُ) و(عليهُ الله)(٣٥).

قال أبو حيان: (الهاء وحدها الضمير والواو التى تلحقها تقوية للحركة هـ ← هو إلا أن الزجاج يزعم أن الضمير مجموعها والهاء فى لغة الحجاز مضمومة مطلقاً مثل ضربهُ ولهُ، وبهِ، إليهُ، وعليهم وكذلك منْ جاور الحجاز من أهل اليمن الفصحاء)(٣٦).

وعلى هذه اللغة قرأ حمزة (عليهُم ـ إليهُم ـ لديهُم) بضم الهاء(٣٧).

وقال أبو شامة: «فى إبراز المعانى»(٣٨) (وتلحق الصلة بالواو وبالياء) هاء الضمير لأن هاء الضمير اسم على حرف واحد فناسب أن تقوى).

ولغة أهل نجد من بنى تميم وقيس وأسد يكسرونها فإن وليت ساكناً غير الياء ضمت نحو: مِنْهُ، وعنْهُ ومن لدُنه ولم يضربه، وكذلك فى التثنية والجمع نحو: مِنْهما ولم يضربْهُما ومِنْهم ولم يضربهم، ولم يضربْهُنَّ(٣٩).

وبنو تغلب يقولون: مِنْهِم بكسر الهاء وقال أبو حيان: وما أدرى هل يطردون ذلك فى نحو مِنْهُ ومِنْهما ومنهن أو لا إذا كان ساكناً غير الياء(٤٠). ولكن التراث اللغوى نقل إلينا طرفاً من الذين يطردون ذلك وهم «بنو كلب» فيقولون: مِنْهِم وعنْهِم وبيْنِهم، وسماه علماء اللهجات ظاهرة «الوهْم» وقال الفراء: هى لغة مرفوضة(٤١).

ويمكن أن ننظر إلى التراث اللغوى فى هاء الضمير «هاء الكناية» عن المفرد المذكر الغائب فى ضوء المنهج التوليدى على النحو التالى:

الخطوة الأولى: هاء مضمومة (هـ ـُ) تعبر عن المفرد المذكر الغائب فى لغة الحجاز، وقد حافظت الهاء على الضم عند اتصالها بالضمائر.

بِهُ بِ ـِ هـ ـُ لَهُ لَ ـَ هـ ـُ مِنْهُ نْ هـ ـُ
عليهمْ ى هـ ـُ م منهنّ منهما..

لغة تميم وقيس وأسد (أهل نجد) اختارت الكسر إذا سبقت بكسرة أو بياء ساكنة.

بِهِ بِ ـِ هـ ـِ عليهِمْ ى هـ ـِ مْ

ويبدو أن هذا التغير حديث بالقياس للغة الحجاز؛ وعلى ذلك تكون لغة الحجاز هى الأقدم؛ حيث سبقت الهاء بكسرة طويلة أو قصيرة وتليت بضمة فمالت اللغة إلى المماثلة فأثرت الكسرة أو ما فى حكمها تأثيراً تقدمياً فتحولت الضمة إلى كسرة مثلها وهو تأثير مقبل كلى فى حالة انفصال.

الخطوة الثانية: اللغة الفصحى، اختارت الكسر المشروط لهاء الضمير إذا سبقت بكسرة أو بما فى حكمها من أهل نجد للانسجام الصوتى واختارت الأصل الموجود فى لغة الحجاز أصلاً لهاء الضمير.

الخطوة الثالثة: استمر التطور نحو الكسر عند بنى تغلب بشكل جزئى وطُرِدَ الباب على وتيرة واحدة عند بنى كلب، وصارت هناك معاقبة تامة بين الضم المطلق (فى الحجاز) والكسر المطلق (فى بنى كلب).

القراءات: اختيارات القراء. فمنهم من اختار لغة الحجاز أصلاً له فى القراءة مع الإشارة إلى وجاهة الكسر المشروط (عند أهل نجد) بقراءة بعض الكلمات القليلة بالكسر إذا توفرت فيها الشروط، ومن هؤلاء حمزة والكسائى.

ومن القراء من اختار ما توافق عليه فصحاء العرب فى اللغة المشتركة من اعتبار الضم أصلاً، والكسر إذا توفرت شروطه (لَهُما، لَهُ، لُهُم عنهنّ فيه ـ به إليهنّ عليهن) . وهذا ما عليه بقية القراء السبعة إلا أن بعضهم كان يشير إلى أن الضم فيما توفرت فيه الشروط، جائز فقراً بالضم فى بعض الكلمات[٤٢]، مثل: حفص عن عاصم فى قوله تعالى: ﴿وما أنسانيهُ إلا الشيطان﴾[٤٣]، وقوله: ﴿عاهد عليهُ الله﴾[٤٤] بالضم، وقراءةورش من طريق الأصفهانى ﴿بهُ انظر﴾[٤٥] بالضم، وقراءة حمزة: ﴿لأهلهُ امكثوا﴾[٤٦] كذلك.

البنية الصوتية لضمير الغائب المتصل:

قال ابن الجزرى فى هاء الكناية: هاء الكناية عن المذكر كثيرة الدَّور فى القرآن الكريم جداً، وهى تتصل بالأسماء والأفعال والحروف، وهى عندهم (أى عند القراء) هاء الضمير المكنى بها عن المفرد المذكر الغائب[٤٧].

ويمكن من خلال ابن الباذش وابن الجزرى أن نستعرض اختيارات القراء السبعة وتلاميذهم فى هاء الغيبة للمذكر فى الخطوات التحويلية التالية:

١ـ الهاء المتلوة بساكن أو ما فى منزلة الساكن:

لا خلافَ بين القراء فى بقاء حركة الهاء (الضمة القصيرة والكسرة

القصيرة) على ما هى عليه فى الفصحى، ولا اعتبارَ عندئذ لما قبلها من حركة أو سكون مثل قوله تعالى: ﴿على عبده الكتاب﴾(٤٩)، ﴿إليه المصير﴾(٥٠)، ﴿ويأتيه الموت﴾(٥٤)، ﴿فقد نصره الله﴾(٥٢) ﴿له الملك﴾(٥٣) ﴿تذروه الرياح﴾(٥٤).

البنية الصوتية: هـ ـِ ص ص، هـ ـُ ص ص

النتيجة: إذا تليت هاء الضمير بساكن لا تتغير قيمة حركتها الصوتية من الناحية الكمية، وتحافظ على أصل بنيتها الصوتية

٢ ـ الهاء التى بعدها صامت متحرك هـ ـِ / هـ ـُ + ص خ

وهى قسمان:

البنية الصوتية

٢ : ١ الهاء التى قبلها حركة ص ح + هـ ـِ / هـ ـُ + ص ح

٢ : ١ : ١ يُجمع القراء على وصلها بواو إذا كانت الحركة التى قبلها ضمة أو فتحة(٥٥).

التوليد الصوتى: ص ـِ هـ ـُ + ص ح ← ص ـِ هـ ـُ ـُ + ص ح

ص ـُ هـ ـُ + ص ح ← .....

أمثلة: ﴿قال لَهُ صاحبهُ وهو يحاوره..﴾. قال : ل ـَ هـ ـُ ـُ

﴿كأنهُ هُوَ﴾(٥٧).

٢ :١ :٢ يجمع القراء على وصلها بياء إن كان قبلها كسرة(٥٨).

أمثلة: ﴿يضل به كثيراً﴾(٥٩) . ﴿فى ربه أن﴾(٦٠) ﴿إذ قال لقومه يا قوم﴾(٦١) .

التوليد الصوتى :

ص ــ ِ هـ ــ ِ + ص ح ⟵ ص ــ ِ هـ ــ ِ ــ ِ + ص ح

النتيجة: إذ تليت هاء الضمير بحركة، وسبقت بحركة فإن قيمة حركتها تتأثر بما قبلها فتتحول الضمة القصيرة إلى ضمة طويلة (قول القراء توصل بواو)،وتتحول الكسرة المنسجمة إلى كسرة طويلة (قول القراء توصل بياء).

٢ : ٢ الهاء المتبوعة بمتحرك وقبلها ساكن أو ما (فى حكم الساكن) فيها خلاف بين القراء.

٢ : ٢ : ١ ابن كثير (وحده) يجعلها مثل التى قبلها متحرك، فيصلها بواو إن كانت حركة الهاء الضمة أو الفتحة، ويصلها بياء إن كانت حركتها الكسرة.

أمثلة: ﴿مِنْهُ آياتٌ﴾(٦٢)، ﴿خذوه فغلوه﴾(٦٣)، ﴿خذوه فاعتلوه﴾(٦٤)، ﴿فيه هدى﴾(٦٥) ﴿عليه آية﴾(٦٦) ﴿اجتباه وهداه﴾(٦٧).

واتفق معه حفص عن عاصم فى قوله تعالى: ﴿ويخلد فيها مهاناً﴾(٦٨).

النتيجة: إذا تليت الهاء بحركة وقبلها ساكن تظل قيمتها الصوتية كما هى عند الستة (غير ابن كثير).

النتيجة الصوتية: ص هـ ــُ ص ص ⟵ ص هـ ــُ ــُ ص ح

عند ابن كثير ص هـ ــِ ص ج ⟵ ص هـ ــِ ــِ ص ح

عند الستة ص هـ ـُ ص ح ⟵ o

ص هـ ـِ ص ح ⟵ o

ويمكن أن نعد مجموع البنى الصوتية السابقة عند القراء فى هاء الضمير والبيئة الصوتية المؤثرة فيها يمكن أن نعدها بمثابة قوانين صوتية تجرى على جمهرة القراءات القرآنية السبع المتواترة وهناك حالات خاصة (اختيارات) خرج فيها القراء عن البنية السابقة التى تنتظم فيها هاء الضمير وفق قوانين صوتية ثابتة، وقد جمعت تلك الحالات فوجدتها تتصل فى أكثرها بمجالين متشابهين وهما:

ـ الفعل الأمر المبنى على حذف حرف العلة.

ـ الفعل المضارع المجزوم بحذف حرف العلة.

ووجدت النادر القليل فى غيرهما، وهاكم بياناً مختصراً بتلك الحالات:

٢ : ١ الفعل المضارع المجزوم بحذف حرف العلة، وأمثلته:

﴿يؤده إليك﴾(٦٩)، ﴿نؤته منهما﴾(٧٠)، ﴿نوله ما تولى﴾(٧١)، ﴿نصله جهنم﴾(٧١)، ﴿ومن يأته مؤمنا﴾(٧٢)، ﴿يره﴾(٧٣)، ﴿ويتقه﴾(٧٤)، ﴿أن لم يره أحد﴾(٧٥).

٣ : ٢ الفعل الأمر المبنى على حذف حرف العلة، وأمثلة: ﴿فالقه إليهم﴾(٧٦) و﴿أرْجِه﴾(٧٧) و﴿فبهداهم اقتدِه﴾(٧٨).

جاءت روايات عن القراء السبعة من طرق مختلفة فى الحالتين السابقتين على النحو التالى:

١ ـ إسكان الهاء ٢ ـ اختلاس الهاء بالكسر ٣ ـ إشباع الهاء بالكسر.

وهنا البنية الصرفية للفعل حُذِف منها العجز وهو حرف العلة فتولدت بنية صوتية فى «هاء الضمير» تشبه البنية الصوتية التى تلحق بها هاء السكت، فحمل هاء الضمير على هاء السكت؛ فمن قرأ بالإسكان؛حمل الوصل على الوقف، ومن قرأ بالكسرة القصيرة أو الضمة القصيرة نظر إلى الجزم الحادث للفعل أو التسكين السابق للهاء.

ومن قرأ بالإشباع عاملها معاملة ابن كثير فى قراءته فنظر إلى ما بعد الهاء من متحرك ولم ينظر إلى عملية الجزم أو البناء المشابهة لها.

البنية الصوتية مضارع مجزوم هـ ـُ هـْ هـ ـُ هـ ـُ ـُ

أمر مبنى هـ ـُ

حذف حرف العلة مضارع مجزوم هـ ـِ هـْ هـ ـِ هـ ـِ ـِ

أمر مبنى هـ ـِ

حمل على السكت — موافقة جمهور القراء — ابن كثير

ـ ونلحظ مما تقدم أن المؤثر الأساسى عند القراء السبعة هو مراعاة ما بعد الهاء من حيث الحركة والسكون، فحيث وجدت الحركة بعد هاء الضمير عملت القوانين الصوتية.

ـ هاء الضمير ذات حركة أصلية هى الضمة التى تميز هاء الضمير عن غيرها من الهاءات، ولكنها تأتى مكسورة من باب المماثلة.

ـ توافق القراء فى حالة الوقف على الهاء أن تسكن الهاءإلا ما ندر.

ـ قد تحمل هاء الضمير على هاء السكت عند بعض القراء والمؤثر الأساسى هو حذف حرف العلة (فى جزم المضارع وبناء الأمر).

ـ اللغة المشتركة (الفصحى) هى الأصل عند جميع القراء.

واختار ابن كثير لغة الحجاز أصلاً له فى القراءة، واختار الباقون اللغة المشتركة، وقرأوا بعض كلمات على ما خالفت فيه لغة الحجاز اللغة المشتركة.

(د) : هاء الغائبة (البارز المتصل)

اتخذت اللغة الفصحى صوت الهاء مورفيما لضمير الغائب المذكر وجعلت حركته الأصلية الضمة وأحياناً الكسرة للمناسبة،كما رأينا فلا عجب أن تجعل الفتحة هى القيمة الصوتية الأساسية لهاء الغائب المؤنث حيث الفتحة عدوة الضمة والكسرة، وذلك على سبيل المخالفة بين حالة التذكير وحالة التأنيث ثم طُوِّلت الفتحة فصار مجموع الهاء والألف هو الضمير (ها) . ولم نجد فيها اختلافاً يذكر عند القبائل حيث تمثل لاحقة صوتية وصرفية دالة على التأنيث تمثل نمطاً واحداً عند الغالبية العظمى من القبائل العربية.

وقد وجدتُ آثاراً نادرة وقليلة تبين أن الهاء الساكنة بدون الفتحة القصيرة أو الطويلة هى مورفيم التأنيث المتصل. وجاءت فى النثر فى قولهم: (والكرامة ذات أكرمكم الله بهْ) يريدون (بِهَا)[٨٠] . وفى بيت رواه قطرب[٨١] وهو قوله (البسيط):

أعلقت بالذيب حبلاً ثم قلت له ... الحق بأهلك واسلم أيهـا الذيب
أمـا تقـود به شـاة فـتـأكلهـا ... أو أن تبيعه فى بعض الأراكيب

يريد تبيعها، فحذفت الألف.

قال ابن جنى[٨٢]: الهاء فى مثل رأيتها ونظرتها.. لم يقل إلا بإثبات الألف.. وقال إن من حذفها (وهو شاذ) فتشبيها بالواو والياء وأورد أبو حيان[٨٣] قول بعضهم، بأن الألف زائدة لتقوية الهاء وبناءً على الرؤية السابقة فى (هاء) الضمير عموماً يمكن أن نتصور صوت الهاء + فتحة قصيرة (مورفيم التأنيث)، ثم طولت تلك الحركة فصارت بهذا الشكل فى الفصحى، ولم يحدث لها أى تغير صوتى أو دلالى.

ثانياً: هــاء التنبيه

(ها) التنبيه هى سابقة صوتية ذات وظيفة دلالية تتقدم على الأسماء المبهمة لينتبه لها(٨٤)، وعدها ابن الحاجب من العوامل النحوية التى فى معنى الفعل. قال الرضى: أى ما يستنبط منه معنى الفعل(٨٥) ولذلك نعدها من حروف المعانى التى لها أكثر من وظيفة دلالية.

فالوظيفة الأساسية لها التنبيه إلا أنها تأتى توكيداً أو معاضدة للتوكيد أو القسم، ونحو ذلك فنقل ابن خالويه(٨٦) عن سيبويه قوله: (وأما الألف والهاء اللتان لحقتا «أى» توكيداً فكأنك كررت «يا» مرتين إذا قلت (يا أيها) وصار الاسم تنبيهاً). وقال ابن خالويه: وهو حسن جداً، وقد وقع عليه الزمخشرى، فقال: وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدة تبيين معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً عما يستحقه من الإضافة»(٨٧).

وإذا نظرنا إلى (ها) التنبيه وجدنا بنيتها الصوتية تتكون من صوت الهاء مضافاً إليه الفتحة الطويلة (هـــــ ـــَـــ)، وهى موجودة فى اللغة الآرامية والسريانية(٨٨) بنفس البنية الصوتية فى العربية (H ā) للتنبيه. وهذه البنية الصوتية استخدمتها العربية فى وظائف دلالية غير التنبيه، ففى بداية الجملة، كلمة (إجابة) أى أنها تستخدم بمعنى (نعم) واستخدمت اسم فعل أمر بمعنى خُذْ، وتلحق بها كاف الخطاب(٨٩) مثل هاكَ وهاكِ.. ويظهر لى أن وظيفتها الدلالية الأولى كانت اسم فعل بمعنى (خُذْ) وهو رد بالإيحاب على سؤال سائل، ثم فُرّغ اسم الفعل من معناه، وصار لازمة صوتية تسبق الجمل الاسمية المثبتة البادئة بأسماء مبهمة، ثم امتدت إلى أساليب مشابهة. وأهم الأنماط النحوية التى وردتها ها التنبيه ما يلى:

١ ـ التنبيه على أ ماء الإشارة (ها + اسم الإشارة).

دخلت (ها) على أسماء الإشارة ذا وذه أو لاء، فتولدت صيغ صوتية جديدة وصارت كأنها كلمة واحدة فى الكتابة (هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء). وقُرِئَ فى الشواذ بدون (ها) التنبيه (إن ذان لساحران)(٩٠) ونلحظ أن (ها) سابقة صوتية تؤدى وظيفة دلالية هى التنبيه كما نلحظ أنها تفيد فى تكثير بنية أسماء الإشارة التى على حرفين، ولذلك نظر إليها العلماء كحرف تعويض عن النقص الحادث فى بنية الأسماء المبهمة، فهى لا تدخل على (ذلك) أو (تلك)(٩١) لأنها استغنت باللام وكاف الخطاب(٩٢) عن (ها) التنبيه فاستقرت بنيتها الصرفية، وقد دخلت واو العطف بين (ها) التنبيه واسم الإشارة اعتماداً على اتصال التنبيه باسم الإشارة فى الجملة السابقة المعطوف عليها قال لبيد:

نحن اقتسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم: هذا لها ها وذا ليا

قال النحاة(٩٣): الشاهد (هذا لها ها وذا ليا) حيث استخدم (ها) للتنبيه وإنما جاز تقديم (ها) على الواو؛ لأنك إذا عطفت جملة على أخرى صارت الأولى كالجزء من الثانية فجاز دخول حرف التنبيه عليها.

٢ ـ التنبيه على الضمائر وبنيته على النحو التالى:

ها + ضمير + اسم إشارة. ـــــ ﴿ها أنتم أولاء﴾.

ها أنا ذا	ها أنتم هؤلاء	ها أنت ذا	ها هو ذا	ها هى ذه

واستغنى الأسلوب بدخول (ها) التنبيه على الضمير عن دخوله على اسم الإشارة إلا فى (ها أنتم هؤلاء) فقد دخل التنبيه على الضمير وعلى اسم الإشارة فى جملة واحدة. وقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات

بتكرار ها التنبيه[٩٤] ومرة واحدة بدون تكرار له[٩٥]. قال الأندلسى: كرّر هاء التنبيه للتوكيد.

وإلى جانب التنبيه استخدمت للتوكيد بالإضافة إلى تكثير بنية الضمير واختلفوا فى إعراب الجملة الفعلية الواقعة بعد هذا الأسلوب، فقال البصريون: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ آل عمران/١١٩ جملة (تحبونهم) فى محل نصب على الحال أى فى تقدير: ها أنت ذا قائلاً، قالوا والحال هنا لازمة؛ لأن الفائدة معقودة بها والعامل فيه حرف التنبيه أو اسم الإشارة[٩٦]، وقال غيرهم: هى مستأنفه ولا محل لها، فهى جملة لازمة بعد اسم الإشارة لبيان الحالة المستغربة[٩٧].

واختلفوا أيضاً فى إعراب (أنتم هؤلاء)؛ فمن نظر إلى مرتبة (ها) التنبيه فى الجملة لكونها سابقة ومنزلتها التقديم أعرب «أولاء» مبتدأ مؤخراً، وأنتم خبر مقدم ومن هؤلاء أبو حيان الأندلسى وابن الباذش. قال الثعالبى: والعلة فى ذلك دخول التنبيه عليه (أى على المبتدأ) لاختصاصها بأول الكلام[٩٧].

٣ ـ التنبيه على أسلوب النداء.

تدخل (ها) التنبيه على «أى، وأية» للنداء، قال البيضاوى: (وأى وصله إلى نداء المعرّف باللام، فإن إدخال (يا) عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى تعريف؛ فإنهما كمثلين، وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له، والتزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود، وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه ـــ (يريد الإضافة) ـ وإنما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن الكريم[١٠٠] لاستقلاله بأوجه من التأكيد.

وقال الرضى[١٠١]: وأبدل ها التنبيه من المضاف إليه لأنه لم يكن يخلو من مضاف إليه أو من تنوين قائم مقامه نحو ﴿أيّاً ما تدعوا﴾ الإسراء/ ١١٠، وليس هذا موضع التنوين، وأيضاً التنوين بدل وتصلح (ها) أن تكون لاحقه دلالية بالنظر إلى أى أو سابقة بالنظر إلى الاسم الموصول المبهم الآتى بعدها. ولذلك قال البيضاوى بأنها مقحمة بينهما. ونلحظ هنا أن (ها) التنبيه جاءت لوظيفة أساسية هى التعويض عن الإضافة حيث لا يصلح التنوين فى الدخول على المعارف ولا يمنع ذلك دلالتها على التنبيه. وهذا ما أكد عليه الزمخشرى مع التأكيد حيث قال: (تبين معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً مما يستحقه من الإضافة)[١٠٢].

وقد رسمت فى المصحف الشريف (أيها) (أيتها) متصلة كما ظهرت فيها ألف المد إلا فى ثلاثة مواضع، قال الزركشى: سقطت الألف الزائدة (فى الرسم) لتطويل هاء التنبيه فى النداء فى ثلاثة أحرف ﴿أيه المؤمنون﴾[١٠٣]، ﴿يا أيه الساحر﴾[١٠٤]. ﴿أيه الثقلان﴾[١٠٥]، فقلت لهم: هذا لها ها وذا ليا[١٠٦] ثم فسر ذلك تفسيراً دلالياً، فقال: فيها إشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة[١٠٧].

وأرى أن تقصير الفتحة الطويلة جاء إشارة إلى لغة من لغات العرب تحذف الألف، وهى لغة بنى أسد[١٠٨]، يقولون: (أيُّه الثقلان) بضم الهاء فى الوصل إتباعاً. وقد حرص كتّاب المصحف على الإشارة إلى طرائق العرب المختلفة فى الأداء عن طريق الخط ما أمكنهم (أىّ + ها) أيّها.

ء ـ ي ي ـ + هـ ـ ـ ـ ء ـ ي ي ـ + هـ ـ ـ

تقصير الحركة + مماثلة رجعية (أيُّـهُ) ء ـ َ ي ي ـ ُ + هـ ـ ـ ُ

وفى تفسير الخليل لاسم الفعل (هلُمّ) يرى أنها مركبة من (ها) التنبيه وفعل الأمر (لُمّ) من قولك (لَم) الله شعثه أى جمعه، أى أجمع نفسك إلينا فى اللازم، وأجمع غيرك فى المتعدى وتغير معناه بالتركيب، فصار بمعنى أقبل، أو أحضر بعدما كان بمعنى أجمع[١٠٩].

ونلحظ هنا أمرين: (ها) التنبيه فى هذا التفسير قد قصرت حركتها

(ها + لُمّ) هـ ـــ ـــ + ل ـــ م م ـــ هـ ـــ ل ـــ م م ـــ

الثانى: دخولها على الفعل[١١٠] وقد دخلت فى الأساليب السابقة على الأسماء المبهمة وتوليد كلمة جديدة ذات دلالة جديدة.

٤ ـ التنبيه على أسلوب القسم.

تدخل (ها) التنبيه فى أسلوب القسم على الاسم والحرف فى النفى والإثبات، مثل قولهم: لا، ها الله ذا ما فعلت.

وها الله بقطع الهمزة ووصلها مع إثبات الألف[١١١].

وقولهم: لا ها لله ذا. وقولهم[١١٢]: ها لعمر الله ذا قسماً.

دخلت على الحرف (الجار والمجرور) وفى غير القسم أورد النحاة قول النابغة:

ها ن تا عذره إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه فى البلد

دخلت (ها) على (إنّ) وقال بعضهم: ها إن زيداً منطلق[١١٣].

ومن خلال الدراسة الوصفية لـ (ها) التنبيه فى التراث اللغوى نتبين الملحوظات التالية:

١ ـ ها (التنبيه) سابقة صوتية ذات وظائف دلالية أهمها التنبيه والتوكيد، وتؤدى العمل النحوى للفصل فى بعض السياقات.

٢ ـ الأصل فى (ها) التنبيه صوت الهاء بحركة الفتحة القصيرة ثم طولت حركتها.

٣ ـ دخلت (ها) التنبيه على الأسماء المبهمة كثيراً والأفعال والحروف قليلاً وحافظت على مصاحبة لغوية مع اسم الإشارة.

نمط ٢ ها + (اسم فعل أو حرف) اسم الإشارة

نمط ١ ها + (اسم الإشارة).

٤ ـ رتبة (ها) التنبيه الصدارة فى الجملة ولازمت بذلك الابتداء.

٥ ـ من الوظائف الصرفية زيادة بنية الكلمة (الإشارة والضمائر) وكذلك فى بعض الأفعال مثل (لُمْ).

٦ ـ من الوظائف الصرفية أيضاً التعويض عن الإضافة فى أى.

ثالثاً: هـاء السكت

مصطلح أطلق على تصويت ناتج عن الوقف فى أساليب عربية خاصة ليؤدى وظائف لغوية، لكنه تجاوز ارتباطه بالوقف فى بعض الأحيان إلى الوصل؛ فتولدت عن ذلك وظائف جديدة، فما هو مفهوم ذلك الاصطلاح؟ وما علاقته بالوقف؟ وماذا عن الوظائف التى تؤديها هاء السكت من الناحية الصوتية والدلالية؟ وما تلك الأساليب والتعبيرات التى ترد فيها وما هى أهم المشكلات؟ وأسئلة أخرى يمكن أن تطرح ونحاول فى هذا العرض وصفها وتحليلها ومن ثم تفسيرها...

الوقف والسكت:

الوقف: قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة، ويختلف مفهوم الوقف فى الاصطلاح بين النحاة والقراء وفق معايير كل فريق، فالنحاة عندهم الوقف الاختيارى: هو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظ، وهو الوقف من أجل الوقف، وغير الاختيارى: هو الوقف الذى يكون استثباتاً أو إنكاراً، أو تذكاراً أو ترنما[١١٤]. أما القراء فيختلف المصطلح لديهم بالنظر إلى الرسم العثمانى وحكم القراءة وبالنظر إلى حال القارىء؛ فمن حيث الرسم لديهم مصطلحان: وقف قياسى، ما وافق الرسم العثمانى، ووقف اصطلاحى، وهو ما خالف الرسم العثمانى، ومن حيث حكم القراءة عند كل قارىء؛ فهناك وقف لازم، ووقف جائز. وحكم الوقف مستمد من الرواية والسماع وأحكام القراءة ومن حيث القارىء؛ فهناك وقف اختيارى (حسب الرواية والسماع) ووقف اضطرارى (لانقطاع النفس)، ووقف اختبارى (بالباء) (للطلبة والتدريب)[١١٥] وإذا نظرنا إلى تلك الأنواع من الوقف وجدنا أن أية كلمة فى القرآن الكريم سواء أكانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً معرضة

للوقف عليها بأى نوع من أنواع الوقف السابقة، ويترتب على ذلك بيان حكم هاء السكت فى أنواع كثيرة ومختلفة من الكلمات فى القراءة القرآنية، وإذا جمعنا بين مفهوم الوقف عند النحاة وكذلك عند القراء وجدنا أنه فى كل أنواع الوقف يحدث لآخر اللفظة حالة من الحالات التالية:

١ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية وظهور حركة إعرابها أو بنائها على الحرف الآخر (وذلك بالروم والإشمام أو مطل حرف العلة أو التضعيف).

٢ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية واختفاء حركة الحرف الأخير (لزوم السكون كما فى اللغة الفصحى).

٣ ـ حذف الحرف الأخير أو إبداله أو قلبه إلى حرف علة (يعالج فى أبواب الإبدال).

٤ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية وزيادة هاء السكت.

٥ ـ حذف الحرف الأخير من الكلمة وإلحاق هاء السكت.

والحالتان الرابعة والخامسة تكشفان عن العلاقة التى تربط بين السكت والوقف[١١٦]، فالسكت نوع من الوقف[١١٧]. وهاء السكت أثر يتولد عن الوقف فى إحدى اتجاهاته، وتنبع أهمية الوقف مما يمثله الحرف الأخير من وظائف صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية. فالحرف الأخير هو عجز الكلمة ويحمل علامة الإعراب أو البناء التى يستمد منها التركيب دلالته النحوية، وفى نفس الوقت هذا الحرف (الصوت الأخير فى الكلمة) عرضة للتغيير، فإن زاد دفق الهواء تولد صوت جديد، وإن قل دفق الهواء وانقطع النفس ذهب الحرف الأخير وتولد صوت آخر. فكيف تصرفت

اللغة فى ذلك باجتلاب (اللاحقة الصوتية) هاء السكت؟ وما وظيفة الهاء من الناحية الصوتية والدلالة النحوية؟

ويمكن طرح الفروض السابقة من خلال عرض الأنماط التى تدخلها هاء السكت فى الأساليب المختلفة من خلال القراءات القرآنية وكلام العرب؛ ومن ثم مناقشة منهج النحاة والقراء فى وضع القوانين والضوابط التى تحدد خصائص هاء السكت الصوتية والوظيفية.

أولاً: فى المركبات الاسمية:

١ : ١ ـ النداء والندبة: (الأمثلة من كتاب سيبويه والارتشاف وشرح المفصل) . تلحق هاء السكت الألف التى فى النداء مثل: يا غلاماه، وتلحق الألف والياء والواو فى الندبة مثل قول الخنساء: واصخراه، واصخراه.

وهاء السكت لازمة عند الوقف، وتحذف فى حالة الوصل إلا فى الضرورات الشعرية ومن ذلك قول الشاعر:

فواكبدا من حبّ من لا يحبنى ومن عبرات ما لهن فناء

وقول الآخر:

كم قائل يا أسعد بنى سعداه كل امرئ باك عليك أراه

ونلحظ أن الصوت الأخير جاء فى النداء والندبة على النحو التالى:

ص ـــ ـــ ـــ ← ص ـــ ـــ هـ

وهناك عدة أنماط للندبة غير ما تقدم ص + صوت لين + هـ

١ :٢ ـ فى حالة العطف:

يا زيدُ والحارثاه

١ :٣ ـ فى الاسم المقصور

واموساه ـــــ ص ـ ـَ ـــــ ص ـــ ـــ هـــــ

يحذف أحد صوتى اللين فى الاسم المقصور (موسى)

١ :٤ ـ فى حالة الاسم الموصول: وامن قتله ابن ملجماه

١ : ٥ ـ فى الاسم الممدود فى مثل: زكرياء، وورقاء، هناك اتجاهان:

ـ القياسى ، تقول: وازكرياءاه قال به بعض البصريين

واورقاءاه ص ـــ ـَ ـــ هـ

ـ السماعى وهو الكثير وازكرياه بحذف الهمزة، ثم معاملته معاملة الاسم المقصور (وهو الوجه الجائز فقط عند الكوفيين) واورقاه ص ـــ ـــ ء ـــ ـــ هـ ـــــ ص ـــ ـــ هـ

١ : ٦ فى المثنى والتركيب الإضافى والأسماء المبنية، هناك اتجاهان:

ـ القياسى، تقول فى ندبة المثنى: وازيداناه، وفى المركب الإضافى: واهلاك العرياه، وفى المبنى: وارقاشاه.

ـ والسماعى، وهو مرجح عند الكوفيين، وابن السراج، حيث يرون أن الندبة تابعة للإعراب فيقولون فى الأمثلة السابقة: وازيدانيهْ، واهلاك العربيهْ، وارقاشيهْ.

زيــدان ـــَـــ صِـــ ←

- بصـــري وازيداناه ـــَـــ ص ـــَـــ هـــ (مماثلة)
- أو
- كـــوفى وازيدانيـــة ـــَـــ ص ـــِـــ هـــ

ينتهى المثنى بصامت مسبوق بحركة طويلة ومتبوع بحركة قصيرة (مخالفة)

القوانين الصوتية تعمل فى المثنى،فإما أن تطول الحركة القصيرة وتتماثل مع ما قبل الصامت فى تأثير تقدمى (مماثلة فى حالة انفصال) وهو القياس ومذهب البصريين.

وإما أن تطول الحركة القصيرة وتتخالف مع ما قبل الصامت وبالتالى تحافظ على علامة البناء الأصلية لنون المثنى وهى الكسرة وهو مذهب الكوفيين وما يسرى على المثنى يسرى على الاسم المبنى وكذلك التركيب الإضافى فى الندبة.

رقاشِ ـــَـــ ش ـــِ

- وارقاشاه ـــَـــ ش ـــَـــ هـــ مماثلة
- وارقاشيهْ ـــَـــ ش ـــِـــ هـــ مخالفة

واهلاك العـربِ ـــَـــ ب ـــِ

- العرباهْ ـــَـــ ب ـــَـــ هـــ مماثلة
- العربيهْ ـــَـــ ب ـــِـــ هـــ مخالفة

ونخلص من ذلك أن الصامت الأخير فى المثنى والمضاف والاسم المبنى على الكسرة يقع بين حركتين مختلفتين فتح وكسر ـــ ص ـــ، فإما أن تحدث مماثلة وهو اتجاه البصريين أو تحدث مخالفة وهو اتجاه الكوفيين. ونلحظ أن الحركة السابقة للصامت أقوى فى التأثير من الحركة اللاحقة مما يبين ضعف حركة الصامت الأخير، ولذلك جاءت هاء السكت للحفاظ على تلك الحركة سواء أكانت حركة إعراب (فى المضاف) أم حركة بناء (فى بقية الأمثلة).

١ : ٧ ـ الاسم المندوب المنتهى بهاء (غير هاء السكت)

وقد تكون الهاء هاء ضمير مثل: انقطع ظهره، أو أصلية مثل: عبدالله، وجهجاه.

١ : ٧ : ١ ـ تقول فى الندبة من (انقطاع ظهره): وانقطاع ظِهر هِيهْ على اللفظة فى (بِهى) وتقول: وانقطاع ظهر هوه على اللفظة (بهُو).

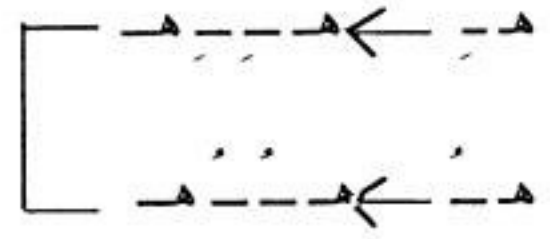

وهنا حدثت مماثلة لحركة الهاء وصارت حركة طويلة مع هاء السكت تمثل مورفيم الندبة.

ولا يجوز إثبات هاء الندبة المتصلة بهاء الضمير فى الوصل إلا فى الضرورة.وما جاء من ذلك إنما هو من إجراء الوصل مجرى الوقف وهذا ما يكاد يجمع عليه النحاة إلا أن الفراء أجاز إثبات هاء السكت فى الوصل متحركة بالضم أو بالكسر.

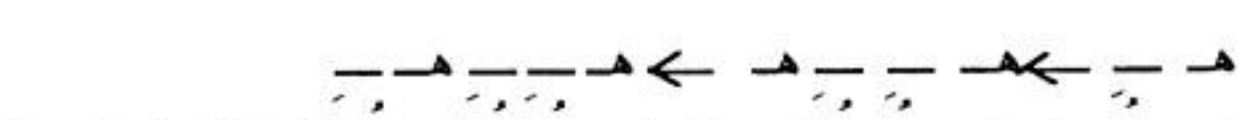

عند الفراء فى الوصل

ويتضح أن التأثير التقدمى للحركات امتد إلى هاء السكت وأعطاها جنس حركة الضمير الأصلية تحت عمل قانون المماثلة الصوتية، ونلحظ هنا أن تحريك هاء السكت فى الوصل جاء حملاً لها على هاء الضمير لوجود العلاقة الصوتية المباشرة (المجاورة فى البيئة الصوتية وعمل قانون المماثلة) .

١ :٧: ٢ ـ عبدالله ـــَـــهـــ واعبدالله ـــَـــهـ

جهجاه ـــَـــهـــُ واجهجاه ـــَـــهـ

الهاء الأصلية مسبوقة بألف تتشابه صوتياً مع ألف الندبة وهاء السكت فاستغنى بهما، وبالتالى حذفت الحركة التابعة للهاء الأصلية حتى تتماثل مع هاء السكت من الناحية الصوتية والوظيفة الأسلوبية، وهذا رأى ابن مالك أما أبو حيان فلا مانع عنده من القياس فيقول: واعبد اللهاه، واجهجاهاه على القياس.

ومن خلال الأشكال السابقة للندبة يتضح ما يلى:

الشكل الأساسى للنداء والندبة فى حالة الوقف يتكون من:

ص + حركة طويلة (الفتحة فى الفصحى غالباً والضمة والكسرة فى بعض اللهجات) + هاء السكت (مقطع طويل مغلق) .

إذا كان الصامت متبوعاً بفتحة طويلة (الاسم المقصور) فإنه يكتفى بإضافة هاء السكت ليتجانس مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت صوت الهمزة الممدودة (فى الاسم الممدود) حذفت الهمزة وبقيت المدة، ثم أضيفت لها هاء السكت لتنسجم مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت هاءً أصلية مسبوقة بحركة استغنى بها عن الندبة وهاء السكت وقامت مقامها لينسجم مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت الأخير حركته الأساسية كسرة مثل الأسماء المبنية على الكسر والمثنى والمضاف فإنه ينسجم تبعاً لقانون المماثلة، ويتجانس مع الشكل الأساسى. هذا ما اتبعته اللغة الفصحى وعليه جمهور النحاة. وتوجد أشكال أخرى بعضها قياسى وبعضها سماعى، لكن ذلك لا يمثل اللغة الغالبة. وقد اشرت إليه فى اثناء التحليل ويكشف لنا التحليل الصوتى فى النداء والندبة أن الهاء جاءت لإغلاق المقطع الطويل المفتوح، وهى الوظيفة الأساسية للهاء هنا.

٢ : ١ ـ ما فسر على الندبة والنداء فى القراءات

جاء فى قراءة عن رويس بإثبات الهاء فى قوله تعالى: ﴿يا ويلتى﴾(١١٨)، وفى قوله تعالى: ﴿يا أسفى﴾(١١٩)، ﴿يا حسرتى﴾(١٢٠)، وكذلك فى قراءة عن ابن جبير عن أبى عمرو: (يا ويلتاه ـ يا أسفاه ـ يا حسرتاه)(١٢١)، وقرأ غير حمزة والكسائى من السبعة بغير إمالة وحجتهم أنها ألف الندبة ولا أصل لها فى الإمالة(١٢٢).

قال ابن خالويه: هذه أصعب مسألة فى القرآن، فالحسرة لا تنادى وإنما تنادى على الأشخاص؛ لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب كقولك: يا عجبا لم فعلت؟! قيل: فكأن التقدير يا عجباً احضر، يا حسرة احضرى، ومنهم من قال: الأصل يا حسرتاه، ثم أسقطوا الهاء تخفيفاً؛ ولهذا قرأ عاصم: (يا أسفى على يوسف) وقال ابن جنى: معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها(١٢٣)، ونقل عن ابن عباس: يا حزناً على النداء وكذلك عن مجاهد: يا جزعا(١٢٤)، وذكر

صاحب المحرر الوجيز (٢٧٢/٣) قوله: يا أسفى على جهة الندبة وحذف الهاء التى هى فى الندبة علامة المبالغة فى الحزن تجلداً منه ـ عليه السلام ـ إذ كان ارتبط إلى الصبر الجيل، أو هو نداء فيه استغاثة، وقال فى موضع آخر: قراء الجمهور يا ويلتَى (بالفتح)، والأصل يا ويلتىِ (بكسر التاء)؛ لكن مِنْ العرب مَنْ يبدل من الياء ألفاً، ويفتح الياء لذلك، فيقولون: يا ويلتى، يا غلاما، ويقف بعضهم على هاء السكت فيقول: يا ويلتاه(١٢٥).

وهناك من فسر الألف فى الكلمات الثلاث بأنها لغة من يرد الياء (ياء الإضافة) ألفا نحو: يا غلاماً، يا أبتا، فى يا غلامى، يا أبتى؛ فالألف بدل ياء الإضافة، وقال الزجاج: أبدل من الياء ألفا لخفة الفتحة(١٢٦).

يا أسفاه
يا حسرتاه ـــــ هناك من القراء من أثبت الهاء فى الوقف.

وهذا ينطبق عليه الشكل الأساسى للنداء والاستغاثة والندبة: يا ويلتاه.

وهناك من أسقط الهاء فى الوقف، لكنه قرأ على كونها من النداء أو الندبة، وأسماه بعضهم الندبة المخففة وكأنه أجرى الوقف مجرى الوصل. ولذلك لا يميل الألف فى الوقف ولا فى الوصل.

ص ـ َ ـ + هـ ← ف ـ َ ـ َ هـ / ت ـ َ ـ َ هـ

ونلحظ ما يلى:

ـ حذف الهاء وتسمى الندبة المخففة.

ـ إبقاء الهاء (فى بعض القراءات القليلة) . وهناك من اعتبر الألف منقلبة عن ياء الإضافة، وبالتالى أخرجها من باب هاء السكت.

٣ ـ ما فسر على الندبة والنداء فى الشعر

٣ : ١ قال الشاعر (عبد يغوث الحارثى):

فيا راكبا إما عرضت فبلغ ندامای من نجران أن لا تلاقيا

قال أبو عبيدة: أراد يا راكباه للندبة محذوف الهاء كقوله تعالى: يأسفى، ولا يجوز يا راكباً بالتنوين لأنه قصد بالنداء راكبا بعينه.....

٣ : ٢ ــ وكذلك يوجه بيت الراعى:

يا عجبا للدهر شتى طرائقه والمرء يبلوه بما شاء خالقه

أنشده سيبويه منوناً وأنشده ابن جنى بدون تنوين على أن ابن جنى يرى أنها ياء قلبت ألفا(١٢٨).

٣ : ٣ ـ وفى قول امرئ القيس(١٢٩):

وقد رابنى قولها يا هناه ويحك ألحقت شرّ بشر

يا هَنُ أى: يا رجل، أقبل ولك أن تدخل فيه الهاء لبيان الحركة فتقول: يا هنه، ولك أن تشبع الحركة فتتولد الألف فتقول: يا هناه، أقبل. هذه اللفظة تختص بالنداء خاصة وحركة الهاء فيها منكرة وقال ابن برى: هذه الهاء هاء السكت عند الأكثر، وقال أبو على: الهاء من هناه إنما ألحقت لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة، ثم شبهت بالهاء الأصلية فحركت(١٣٠).

يا عجبا، يا راكبا بـــَـــهـ، بـــَـــ

هَنُ ← هـ ـَ نـ ـُ ← هـ ـَ نـ ـُ هـ ← هـ ـَ نـ ـَـ هـ مماثلة لماقبلها

هـ ـَ نـ ـَـ هـ ـُ تقل الحركة

بعد المماثلة إلى الهاء قال أبو على: (حملاً على الهاء الأصلية).

النتائج: ١ ـ حذف هاء السكت.

٢ ـ تحقيق الشكل الأساسى.

٣ ـ تحقيق الشكل الأساسى مع زيادة الحركة حملا على هاء الضمير.

٤:٣ ـ مما يلحق بالأمثلة المتقدمة قول بعض العرب فى الإشارة هؤلاء، وها هناه

هؤلاء ← هؤلا ← هؤلاه

ها هُنا ← ها هناه ←

وكأنهم حَمَّلوا اسم الإشارة مخفف الهمزة واسم الإشارة المسبوق بها التنبيه؛ حيث يتشابه آخره بالنداء والاستغاثة من الناحية الصوتية (عليهما)؛ فلفظة هاهنا تنتهى بصامت ذى حركة طويلة ص ـ ـ، فتدخل هاء السكت لتغلق المقطع الطويل.ومع أن الأسلوب للإشارة وليس للنداء إلا أن التشابه الصوتى حوّل الإشارة إلى ذلك.قال سيبويه: لقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف فى الوقف لأن الألف خفية فأرادوا البيان، واعلم أنهم لا يتبعون الهاء ساكناً سوى هذا من الحروف الممدودة؛ لأنه خفى فأرادوا البيان...(١٣١) على أن الوقف فى [هؤلا وههناه] بهاء السكت غير لازم، فهناك ناس من العرب كثير، كما قال سيبويه لا يلحقون الهاء(١٣٢).

٤ ـ أسلوب الاستفهام

وفى الاستفهام قسمان: قسم تلزمه الهاء فى الوقف، وآخر لا تلزمه، ولكن الأفضل أن تدخله الهاء فى الوقف.

٤ : ١ ـ قال سيبويه: (وأما قولهم: مجىء م، ومثلُ مَ أنت، فإنك إذا وقفت ألزمتها الهاء، ولم يكن فيه إلا إثبات الهاء؛ لأن مجىء، ومثل، يستعملان فى الكلام مفردين لأنهما اسمان وأما الحروف الأول فإنها لا يتكلم بها مفردة من ما لأنها ليست بأسماء؛ فصار الأول والآخر بمنزلة حرف واحد لذلك)(١٣٤).

٤ : ٢ وأما قولهم: علامَهْ، وفيمَهْ، ولمَهْ، وبمَهْ، وحتامَهْ؟ فالهاء فى هذه الحروف أجود إذا وقفت لأنك حذفت الألف من (ما)(١٣٤).

١ ـ اسم + م + هاء السكت مجىء مَهْ؟

٢ ـ حرف + م + هاء السكت فيمهْ؟ فيمَ

فى النمط الأول انفصلت (ما) الاستفهامية عن هاء السكت فى الصوت والصورة (الرسم)، وساعد على هذا الانفصال استقلال (ما) عن الاسم السابق عليها، فلذلك كانت الهاء ضرورية عند الوقف للحفاظ على بنية (ما) الاستفهامية. أما النمط الثانى فإنّ اتصال (ما) الاستفهامية بالحرف صوتاً وصورة وفّر لها الحفاظَ على بنيتها الصرفية، وكانت الهاء جيدة فى الوقف لأداء وظيفتها من التصويت وبيان الحركة. ونستنتج من ذلك أن وظيفة الهاء فى النمط الأول، محورها الحفاظ على بنية (ما) الاستفهامية والتعويض عن نقص الحركة

اسم + م ـ ـَ ـ + هـ ← اسم + م + هـ [كلمتان]

حرف + م ـ ـَ ـَ + هـ ← ب ـِ م ـَ ب ـِ م ـَ مـ [شكل كلمة واحدة]

قال الزمخشرى[١٣٥]: (فى النمط الثانى)، وإنما حذفت الألف لأن (ما) والحرف كشىء واحد.ووقع استعمالها كثيراً فى كلام المستفهم والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان. ثم يبين أن من بين أسباب دمج الكلمات هنا هو كثرة الاستعمال حتى صار كأنه الأصل، وأشار النسفى إلى أن الأصل استعمل قليلاً كما فى قول الشاعر[١٣٦]:

على مَا قام يشتمنى جرير

٤ : ٣ ما جاء فى القراءات القرآنية

وقف البزى ـ وكذا يعقوب بخلاف بينهما ـ بهاء السكت فى الكلمات الخمس الاستفهامية المجرورة وهى (عمَ ـ وفيمَ - وبمَ ـ ولمَ ـ ومم) عوضاً عن الألف المحذوفة لأجل دخول حرف الجر على (ما) الاستفهامية، وقال الزمخشرى[١٣٧] فى قوله تعالى: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾[١٣٨]: لمَ، هى لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك: بم، وفيم، ومم، وعم، وإلام، وعلام... والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان[١٣٩] عمّهْ، فيمهْ، لمَهْ، ممّهْ.

ل ـ مِ ـــ هـ ونلحظ أن (ما) الاستفهامية سبقت فى الأمثلة إما بحرف من جنسها هو الميم أو

مِ مْ م ـــ هـ بصوت مد (الياء أو الألف) أو بصوت من أصوات الذلاقة مثل الباء واللام محرك بالكسرة

ب ـــ مِ ـــ هـ وجاءت الهاء هنا للتعويض عن تقصير حركة الميم والحفاظ على بنية الكلمة

فـ يـ م ـــ هـ بالإضافة إلى كونها لاحقة صوتية فى الوقف.

٥ ـ زيادة الهاء فى الاستفهام الإنكارى: وقد يكون الغرض إنكاراً أو استثباتاً إذا أنكرت على متحدث أن يكون وجه الحديث على ما ذكر استخدمت الأسلوب التالى:

٥ : ١ : ١ ـــ يقول قائل: ضربت زيداً. فتقول منكراً لقوله: أزيدَ نيه ؟!

٥ : ١ :٢ ـ ويقول:قدم زيدُ. فتقول منكراً لقوله: أزيدُ نيه ؟!

٥ : ١ : ٣ ـ لقيت زيداً وعمراً ←فتقول: ← أزيداً وعمرنيه ؟!

٥ : ٢ : ١ ويقول: مررت بعثمان

رأيت عثمان ← تقول مستثبتاً: أعثماناه ؟!

جاء عثمان ← أعثماناه ؟!

٥ : ٢ : ٢ ـ هذا عمرُ ← فتقول ← أعمرُوه ؟!

٥ : ٢ : ٣ ـ ضربتُ زيداً الطويل ←فتقول ←أزيداً الطويلاه ؟!

٥ : ٣ ـ مررت بحذام ←فتقول: ← أحذاميه ؟!

ـ الأمثلة السابقة من كتاب سيبويه. وإذا نظرنا إلى التطبيقات المختلفة لتلك الأساليب وجدنا أن الاسم اتخذ الأنماط التالية:

١ ـ اسم معرب يقبل التنوين، الأمثلة: (الأول والثانى والثالث).

٢ ـ اسم معرب غيرمنون (الممنوع من الصرف، المعرف بأل) (من المثال الرابع حتى المثال الثامن).

٣ ـ اسم مبنى (المثال الأخير).

فى الاسم المعرب المنون اعتبر التنوين (النون الساكنة) هو آخر الاسم، وأدخلت هاء السكت الساكنة، وحركت النون بالكسرة، فهى أقوى الحركات، وتم مطل الكسرة فصارت كسرة طويلة.

ن + هـ ⟵ نـِـ هـ

وفى حالتى الاسم المعرب غير المنون، وكذلك الاسم المبنى مطلت الحركة الموجودة، ثم ألحقت هاء السكت...

عثمانُ نـُـ ⟵ نـُـ هـ

عمرُ رـُـ ⟵ رـُـ هـ

حذامِ مـِـ ⟵ مـِـ هـ

ويتفق النمطان فى زيادة الحركة الموجودة أو المتولدة مع إلحاق هاء السكت، وصار هذا الفونيم (حركة طويلة + هاء السكت) ذا وظيفة نحوية خاصة يعطى دلالات بحسب حال السامع والمتكلم من الاستفهام الإنكارى أو استفهام غرضه الاستثبات والتَّذكار أو التوكيد بوقوع هذا الحدث، وصارت وظيفة هاء السكت هنا وظيفة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها وهى وظيفة دلالية فى المقام الأول، قال سيبويه: وصارت هذه الزيادة علما لهذا المعنى كعلم الندبة(١٤١).

٥ : ٤ ـ هناك من العرب من يزيد الهمزة قبل التنوين وهاء السكت تقول: أزيدُإنيه، ويرى سيبويه أن الزيادة هنا زيادة إنْ مع هاء السكت يقول: واعلمْ أنّ من العرب من يجعل بين هذه الزيادة وبين الاسم (إن) فيقول: أعمرُإنيه وأزيدإنيه، فكأنهم أرادوا أن يزيدوا العلم بياناً وإيضاحاً كما قالوا: من أن، فأكدوا بأن، وكذلك أوضحوا بها هاهنا(١٤٢). ومن خلال

النمط السابق يمكن أن نقدم تفسيراً آخر، وهو زيادة الهمزة توهماً وزيادة فى التفصح فتحولت:

أزيدُنيه ⟵ أزيدُإنيه ظناً عند بعضهم أن النمط الأول قد حذفت منه همزة إن، فأعادوها زيادة فى التفصح، وبخاصة إذا عرفنا أن النمط الأول هو الأكثر استعمالاً. ويبدو أن زيادة الهمزة تمت عند من يحققون الهمزة ويحافظون عليها، ولذلك أقحموها فى هذا الأسلوب. وساعد على ذلك ميل الكلمة الطويلة إلى استقلال ركنيها الاسم واللاحقة الصوتية (أزيد + إنيه) فجاءت الهمزة لتصنع حاجزاً صوتياً بين التركيب الأصلى واللاحقة الصوتية. ويمكن أن نستنتج أن أسلوب الاستفهام قد مرّ بعدة مراحل:

١ ـ تقول: ضربت زيداً ⟵ أضربت زيداً؟ ثم اختصر فحذف الفعل، واجتلبت لاحقة صوتى: أزيدُنيه

٢ ـ جاء عمروُ وزيدُ أعمرٌو وزيدنيه نّ هـ ⟵ ن ـ ـِ هـ ⟵ ن ـ ـِ ـ ـِ هـ

٣ ـ ثم أقحمت الهمزة أزيدُإنيه ⟵ ء ـ ـِ ن ⟵ ء ـ ـِ ن ـ ـِ ـ ـِ هـ

والتصور الصوتى الافتراضى أن التنوين (نون ساكنة) قد التقى مع هاء السكت الساكنة فتغلبت اللغة على التقاء الساكنين بتوليد حركة ثم مطل الحركة أو مطلها مع زيادة الهمزة لإيجاد تمايز بين الاسم واللاحقة الصوتية.

النتيجة: إن وجود الهاء قد أثر فى المحيط الصوتى وأدى إلى توليد صيغ جديدة لأساليب نمطية.

٦ ـ الأسماء المنتهية بنون لازمة قبلها صوت مد

٦ ـ مثل مسلمونه وضاربانه ونحو ذلك... تدخل هاء السكت على جمع المذكر السالم والمثنى عند الوقف على سبيل الجواز، وليس على سبيل الوجوب، وقال سيبويه: (وكان هذا أجد ر أن تبين حركته)(١٤٣) وحجة سيبويه أن العرب تبين الحرب الأخير بالهاء إذا كان متحركاً، فما بالنا إذا كان ما قبل الأخير ساكناً، وجاءت القراءة القرآنية عن البزى بهاء السكت وفقاً فى (العالمينه ــ الذينه)(١٤٤)، وقرأ يعقوب بإلحاق الهاء فى الوقف على النون المفتوحة فى نحو العالمين والمفلحون والذين(١٤٥). ونلحظ أنه فى الوقف على تلك الأسماء هناك اتجاهان فى لغة العرب: اتجاه يقف بتسكين النون وعدم إظهار حركة بنائها (الفتحة ــ الكسرة)، ويكون شكل المقطع على النحو التالى:

ص + حركة طويلة + ص واتجاه آخر يهتم بإظهار حالة البناء فى الوقف ويترتب على ذلك تحويل شكل آخر الكلمة من مقطع طويل مغلق بحركة طويلة إلى مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ص + حركة قصيرة + ص

ويمكن تمثيله على النحو التالى:

مسلمونَهْ
م ـ ـُ ـ ـُ ن
م ـ ـُ ـ ن ـَ ← م ـ ـُ ـ ن ـَ هـ

ضـاربِنه
ب ـ ـ ـ ن
ب ـ ـَ ـ ن ـِ ← ب ـ ـَ ـ ن ـِ هـ

وبينما تختصر الكلمة فى الاتجاه الأول، ويطول آخرها تطول الكلمة فى الاتجاه الثانى، ويقصر آخرها.والقانون الصوتى الذى صاغه سيبويه لحدوث هذه الظاهرة يشترط أن تكون النون زائدة ليست نون إعراب وقبلها حرف ساكن(١٤٦) أما العلل التى ساقها لاجتلاب هاء السكت فى مثل هذه الأسماء(١٤٧) فهى كون النون ساكنة، وهو ما أشرنا إليها بتحويل المقطع ذى الحركة الطويلة فى آخر الكلمة إلى المقطع ذى الحركة القصيرة.

٧ :١ـ ماحمل من الأسماء والضمائر وبعض الظروف والحروف على ذلك...

مثل أين، وهَنَّ ـ قالوا: أينهْ، وهنّهْ، وأنَه (فى قول حاتم الطائى: (هذا فزدى أنه)(١٤٨) يريد: أنا) . ونلحظ هنا أن صوت النون مسبوق بصوت لين أو صامت من جنسه وهو النون

آخر الكلمة مقطع قصير مفتوح ء ـ ـَ ى ن ـ ـَ ← ء ـ ـَ ى ن ـ ـَ هـ

هـ ـ ـُ ن ن ـ ـَ ← هـ ـ ـُ ن ن ـ ـَ هـ

آخر الكلمة مقطع طويل مغلق

٧ : ٢ــ ويبدو أن الظاهرة كما يقرر

سيبويه قد امتدت لتشمل قطاعا آخر من الكلمات، بينه وبين تلك الكلمات علاقة صوتية، فالميم أشبه الحروف بالنون فى: ثمَّ، هلُمَّ، وما قبلها ساكن، فاجتمع سكون ما قبلها وخفاؤها، مثل خفاء النون فلحقت بها الهاء، فقالوا: ثَمَّهْ، وهلمَّهْ(١٤٩)، قال الراجز: يا أيها الناس ألا هلمَّهْ

ث ـ ـَ م م ـ ـَ ← ث ـ ـَ م م ـ ـَ هـ

هـ ـــَ ل ـُ م م ـــَ ⟵ هـ ـــَ ل ـــُ م م ـــَ هـ

وقــرأ ابن أبى ليلى (ثَمّــه) بالفــتح مع هاء السكت[١٥٠] وقـال القرطبى[١٥١]: والهاء يجوز أن تكون لبيان الحركة فتحذف فى الوصل، ويجوز أن تكون لتأنيث البقعة فتثبت فى الوصل تاء.

٧: ٣ ـ وإذا اعـتمدنا نظرية سيبويه فى كون النون خفيفة وهاء السكت تظهرها نجد أن قانون حمل كلمة على أخرى للتشابه الصوتى أو الصرفى أو الدلالى يعمل فى هذا السياق، فما حمل على هنّ من الضمائر (هى، وهو) حيث تتشابه فى كونها ضمائر رفع منفصلة ومنتهية بصوت مد كما رأينا فى: مسلمونه وضاربانه. وجاء فى سورة القارعة ﴿وما أدراك ما هيه﴾ وقف يعقوب بالهاء على (هو وهى) حيث وقعا[١٥٢]، وقال ابن خالويه: ودخلت هاء السكت لتتبين بها حركة ما قبلها... وسائر القراء (عدا حمزة والكسائى) يثبتها وصلاً ووقفاً (ما هيه)، وقال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات الثابتة فى رسم المصحف، ولا توصل لأنها أدخلت للوقف.. وهذه رؤوس آيات فالوجه أن يقف عندها[١٥٣]، وبين فى موضع آخر[١٥٤] أن الوصل بالهاء فيه تجاوز للقاعدة النحوية والوصل بدون هاء فيه تجاوز لرسم المصحف، والسنة اتباع. وبذلك قدم حلاً من وجهـة نظره بأن الأولى هو الوقف اتباعاً لرسم المصحف واتفاقاً مع القاعدة النحوية وتحقيقاً للانسجام الصوتى مع رؤوس الآيات.

٧: ٤ ـ وعلى هذا جاء بيت حسان بن ثابت (المتقارب)[١٥٥]

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يقال له من هُـوَهْ

وقول محمد بن زياد المازنى[١٥٦]:

يا نظرى قل لى تراه كما هوْه إنى لأحسبه تقمص لؤلؤه

وإذا نظرنا إلى السياق الذى ألحقت فيه هاء السكت بالضمائر نلحظ مايلى:

ـ الضمائر المبنية على حركة الفتحة: (هِى) و(هُوَ) .

ـ الصوت الصامت الذى يحمل حركة الفتحة هو صوت شبيه بالحركة (الواو أو الياء) .

هـ ـ ى ـ ـ ـ ـ ـ ← هـ ـ ـ ى ـ هـ

هـ ـ و ـ ـ ـ ـ ـ ← هـ ـ ـ و ـ هـ

آخر الكلمة مقطع قصير مفتوح يتحول إلى مقطع طويل مغلق فى حالة الوقف.

وجعل سيبويه دخول هاء السكت على الحرف (إنَّهْ) وفى بعض الظروف والنون التى للجمع فى مثل (اعلمَنهْ) وكذلك تاء الضمير فى انطلقتُهْ[١٥٧] من باب الحمل على قضية إظهار النون بهاء السكت يقول: ومثل ما ذكرت لك (أى فى نون إنّ وهُنّهْ) ؛ إنَه وهم يريدون إنّ ومعناها: أجلْ، وذكر قول الشاعر:

ويقلن شب قد علا ك وقد كبرتَ فقلتُ إنهْ

ومثل نون الجمع قولهم: اعلمنَهْ، لأنها نون زائدة وليست بحروف إعراب وقبلها حرف ساكن، فصار هذا الحرف بمنزلة هُنّ. وقالوا: فى الوقف كيفَه، وليته، ولعله، لمّا لم يكن حرفاً يتصرف للإعراب، وكان ما قبلها ساكناً جعلوه بمنزلة ما ذكرنا[١٥٨].

ونلحظ على تلك المجموعة من الكلمات مايلى:

١ ـ تنتهى بصوت النون فى أكثر الأمثلة ويليها فى الترتيب الميم

والفاء الواو والياء. والتاء.ونلحظ أنها مجموعة متقاربة من الأصوات، فهى أصوات شفوية أو شبيهة بالحركات أو من مقدمة الفم.

٢ ـ أن هذه الأصوات مسبوقة بصوت ساكن من جنسها فى كلمات مثل: هنْ، وثمْ، وهلْمْ، وإنْ، أو بصوت لين مثل: أيْنَ وكيْفَ وليْتَ.

٣ ـ تتفق هذه الأمثلة فى قلة حروفها وكون الحركة التابعة للصامت الأخير هى حركة بناء لازمة لها وجاءت الفتحة غالبة على ما سواها.

٨ : ١ـ دخول هاء السكت على ياء المتكلم

للعرب فى الوقف على ياء المتكلم اتجاهان:

الأول: الوقف بتسكين الياء، وبالتالى لا تلحق هاء السكت. وبيّن سيبويه أن من يفعل ذلك يرى أن ذلك أمرها فى الوصل؛ فلم يحذف منها فى الوقف شيء[١٥٩].

الثانى: الوقف بتحريك الياء بالفتحة واجتلاب هاء السكت. ويوضح سيبويه أن من يفعل ذلك كرِه أن يسكن الياء إذا لم تكن حرف الإعراب، وكانت خفيّة فبيّنوها.... وذلك قولك هذا غلامِيَهْ، وجاء مِنْ بعْدِيَهْ وإنه ضَرَبْنِيَهْ.

كتابى ،	كتابِيَهْ	ـ الوظيفة الدلالية
ب ـ ـِ ـ	ب ـ ِ ى ـ هـ	ـ إظهار حركة ياء المتكلم
مقطع مفتوح	مقطع مغلق	ـ الحفاظ على حركة البناء
ص ح ح	ص ح + ص ح م + ص	
٢	١ + ٣	

وجاءت القراءة على الوجهين ومما جاء من الاتجاه الثانى قوله تعاليك ﴿يا ليتنى لم أوت كتابيهْ * ولم أدر ما حسابيهْ﴾... (ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيهْ﴾(١٦٠).

قرأ بعض القراء [كتابيهْ، حسابيهْ وماليهْ، سلطانيهْ] بالهاء فى الوصل والوقف اقتداء بخط المصحف، وهي فى الوصل بنية الوقف. وطرح الهاءات فى الوصل لا فى الوقف حمزة(١٦١)، والأعمش وابن أبى إسحاق وكذلك ابن محيصن وسلام(١٦٢).

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: الاختيار عندى فى هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتعمد لذلك، لأنها إن دمجت فى القراءة مع إثبات الهاء كان خروجاً من كلام العرب وإن حذفت فى الوصل كان خلاف الكتاب (خط المصحف) فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعانى الثلاثة من أن يكون مصيباً فى العربية وموافقاً للخط وغير خارج من قراءة القراء(١٦٣). واختيار ابن سلام السابق هو ما اختاره الزجاج وأضاف إليه أن الوقف بهاء السكت هو الوجه لأن هذه رؤوس آيات(١٦٤).

ونستنتج من العرض السابق مايلى:

أن من قرأ فى الوقف والوصل بهاء السكت إتباعاً لخط المصحف فقد أوجد تحولاً جديداً فى وظيفة هاء السكت ورفع قيد الوقف عنها، وأوجد قاعدة نحوية توليدية تجعل هاء السكت وحدة صوتية (مورفيماً) متحركة.

أن من قرأ فى الوقف بهاء السكت وفى الوصل بدونها نظر إلى تحقيق وظائف الهاء فى الوصل بدونها وهى إبانة حركة البناء على ياء المتكلم.

كتابخانه مركزى دانشگاه تهران

أن اختيار الوقف للجمع بين القاعدة والخط العثمانى والانسجام مع رؤوس الآيات هو اختيار للتوفيق بين تأثير الرسم الكتابى والمنطوق القرائى.

٨: ٢ ـ دخول هاء السكت على ياء المتكلم المسبوقة بصوت مد أو بصوت لين.

وذلِك قولهم: غلامايَهْ وبشرايَهْ وعصايَهْ ويا قضيّهْ[١٦٥] فى غلامای وغلامیَ، وعصای، وبشرای، وقاضیّ وإذا طبقنا الاتجاهين السابقين نلحظ مايلى:

غلامای: م ـ ـ ـ ی ⟵ م ـ ـ ـ ی ـ هـ

غلامیَ: م ـ ـ ی ی ⟵ م ـ ـ ی ی ـ هـ

بشرای: ر ـ ـ ـ ی ⟵ ر ـ ـ ـ ی ـ هـ

عصای: ص ـ ـ ـ ی ⟵ ر ـ ـ ـ ی ـ هـ

قاضیّ: ض ـ ـ ی ی ⟵ ض ـ ـ ی ی ـ هـ

ويمكن حصر الأمثلة الخمسة التى قدمها سيبويه فى نموذجين:

ـ نموذج (١) يتكون من ص + ح طـ + ص (شبيه بالحركة).

ـ نموذج (٢) يتكون من ص ح ق + ص ص (شبيه بالحرف المثقل)

ويتحول النموذج الأول عند الوقف بهاء السكت إلى ص + ص طـ + ص (شبه حركة) ح ق + ص فينقسم المقطع الطويل المغلق (النوع الرابع) إلى مقطعين مقطع مفتوح + مقطع مغلق بحركة قصيرة. وهذا له أثر صوتى ملموس فى شكل آخر الكلمة المبنية، ويتحول النوذج الثانى عند الوقف بهاء السكت إلى: ص ح ق ص + ص ح ق + ص. فينقسم المقطع الطويل المغلق (النوع الخامس) إلى مقطعين مغلقين من (النوع الثالث) وهو المقطع الأكثر حيوية فى اللغة العربية، ونستنتج من ذلك أن اللغة العربية تميل إلى تقصير المقاطع المغرقة فى الطول وتحويلها إلى مقاطع من النوع الثانى والثالث. ولذلك فإن وجود الهاء فى الوقف له

وظيفة صوتية فونيميه هى الحفاظ على نظام المقاطع كثيرة الدوران فى العربية.

ثانيا: دخول هاء السكت على الأفعال:

تدخل هاء السكت على بعض الصيغ لفعلى الأمر والمضارع المجزوم عند الوقف، ويختلف حكم اجتلاب هاء السكت بين تلك الصيغ من الوجوب إلى الكثرة إلى القلة؛ والقصد أن نعرض لتلك الصيغ، وتفسير العلماء لها، ثم نعرض لذلك فى القراءات القرآنية.

الأنماط التى تدخلها هاء السكت وجوباً

١ : ١ النمط الأول

الفعل الذى ذهب منه حرفان حال بنائه للأمر، أو جزمه فى المضارع، مثال: لا تَقَهْ من وقيت، وإن تَعِ أعهْ، من وعيت. قال سيبويه: لأنها ذهبت منها الفاءَ واللام، فكرهوا أن يسكنَوا فى الوقف فيقولوا: إن تعِ أعْ فيسكنوا العين مع ذهاب حرفين، وبيّن بأن ترك الهاء فى الوقف مجحف بها، لذلك ألزم العرب تلك الأفعال الهاء عند الوقف(١٦٦).

ويمكن أن نمثل التحول المقطعى على النحو التالى:

أَعْ أصل مرفوض فى حالة الوقف فى الجملة السابقة

أعِهْ المستعمل الفصيح فى الجملة السابقة

المرفوض ء ــ ع = ص ح ق + ص مقطع طويل مغلق النوع الثالث

المستعمل ء ــ عِ ــ هـ = ص ح ق + ص ح ق + ص مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مغلق من النوع الثلث.

ملاحظات:

ــ الأصل المرفوض فى الوقف يتكون من مقطع واحد.

ــ المستعمل الجارى فى الوقف يتكون من مقطعين.

ـ الجزء الأخير من الكلمة فى المرفوض والمستعمل من النوع الثالث.

يتبين مما سبق أن الوظيفة الأساسية لهاء السكت هنا هى وظيفة صرفية للحفاظ على بنية الكلمة فى المقام الأول، لأن هناك اتفاقاً فى نظام المقطع عند الوقف فى آخر الفعل. وهذا يشير إلى دقة قول سيبويه أن ترك الهاء فى الوقف مجحف بالكلمة.

١ : ٣ـ النمط الثانى

تدخل هاء السكت على الأفعال الناقصة التى يحذف منها حرف العلة فى بنائها للأمر أو جزمها فى المضارع استحساناً وتجويداً للغة، مثل: ارمِهْ، ولم يغزه، واخشه، ولم يقضِهْ، ولم يرضه.

قال سيبويه: وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللام والإسكان جميعاً، فلما كان ذلك إخلالاً بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك، فهذا تبيان أنه قد حذف آخر هذه الحروف. وبين أن الكثير هو الوقف بالهاء والقليل الوقف بالسكون فى لغة قليلة حكاها عيسى بن عمر ويونس بن حبيب، يقولون فى الوقف: ارمْ، واغزْ واخشْ...

ويمكن أن نمثل ذلك فى النظام المقطعى على النحو التالى:

اللغة القليلة

ارمِ	.....ءـِ ر م	ص ح ق + ص + ص
اغزْ	.....ءـُ غ ز	مقطع مغلق من النوع الرابع
اخش	.....ءـِ ش	

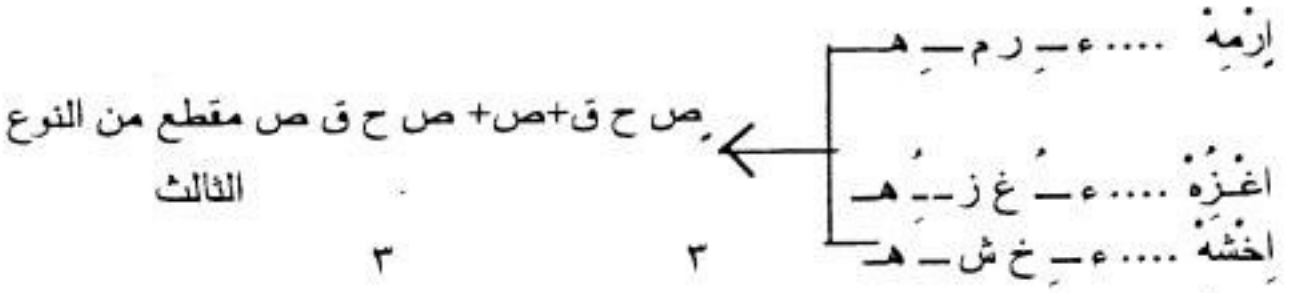

اللغة الجيدة الكثيرة (متحولة عن السابقة)

بزيادة هاء السكت تغلبت اللغة على التخلص من المقطع من النوع الرابع وتحويل الكلمة إلى مقطعين والوقف على الحرف الأخير، فتحول إلى مقطع من النوع الثالث.

النتيجة:

الوظيفة الأساسية لهاء السكت فى هذا النمط هى وظيفة صوتية حيث تكون هاء السكت وسيلة للتخلص من المقطع الأقل دوراناً فى العربية إلى المقطع الصوتى الأكثر دوراناً فى العربية.

١ :٣ ـ النمط الثالث:

كل فعل آخره ياء أو واو، وإن كانت الياء زائدة أو كانت إبدالا من حرف صحيح ونحو ذلك، قال سيبويه: لأنها تجرى مجرى ما هو نفس الحرف(١٦٩).

مثال: يتسنن ← يتسنى ← يتسنّه.

١ :٤ ـ ما ورد من تلك الأنماط فى القراءات وكلام العرب

مثال ١: فى قوله تعالى: (طَهْ) سورة طه/١ وعلى ذلك قراءة من قرأ بفتح الطاء وسكون الهاء، وأصله طأ فحذفت الهمزة وأدهلت هاء السكت(١٧٠).

وجاء فى روح المعاني: طأ الأرض بمعنى استراح خفف الهمزة فصار: (طا) ثم حذفت الألف وضم إليها هاء السكت وأجرى الوصل مجرى الوقف(١٧١).

التحول المقطعى: (طأ) فعل أمر ← ط ـَ ء مقطع طويل مغلق من النوع الثالث.

تخفيف الهمزة ←——— ط ـَـ مقطع طويل مفتوح

طهْ اجتلاب هاء السكت ←— ط ـَ هـ مقطع طويل مغلق من النوع الثالث.

مثال ٢ : (فبهداهم اقتداه)

فى قراءة الستة (غير ابن عامر) اقتده بسكون الهاء غير أن حمزة والكسائى يحذفانها فى الوصل، والباقون يثبتونها فى الوقف والوصل، وحصل الإجماع على إثباتها فى الوقف.

قال الواحدى: الوجه الإثبات فى الوقف والحذف فى الوصل لأن هذه الهاء وقعت فى السكت بمنزلة همزة الوصل فى الابتداء وذلك لأن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء فكما لا تثبت الهمزة حال الوصل ينبغى ألا تثبت الهاء إلا أن هؤلاء الذين أثبتوا راموا موافقة المصحف فإن الهاء ثابتة فى الخط (١٧٢).

اقتده

ء ـِ ق ت ـَ د ـِ هـ

ص ح + ص ص ح ص ح + ص

إذا ذكرت الكلمة مفردة نلحظ التعادل الصوتى فى المقطع الذى نبتدئ به وتقف عليه، فكلاهما من النوع الثالث، وبينهما المقطع من النوع الأول، وهذه ملحوظة من الواحدى حيث ربط بين هاء الوقف وهمزة الابتداء، فإذا كانت الهمزة يتوصل بها للنطق الساكن فإن هاء السكت يتوصل بها إلى إغلاق المقطع، وكلاهما يسقط فى درج الكلام.

مثال ٣:

ومما جاء فى كلام العرب الفصحاء فى حديث نافع بن جبير: (إذا ذكر عبد مناف فالطه). جاء فى اللسان هو من لطئ بالأرض (لزق بها) محذوف الهمزة، ثم أبتعها هاء السكت، يريد: إذا ذكر فالتصقوا فى الأرض ولا تعدوا أنفسكم وكونوا كالتراب (١٧٣).

ألطأ ءـِ ل ط ـَ ء ءـِ ل ط ـِـَ

ءـِ ل ط ـَ هـ تقصير الحركة

مثال٤ : ﴿يؤت الله﴾ النساء/١٤٦ ﴿ومن تق السيئات﴾ غافر/٩

قال أبو عمرو: ينبغى ألا يتوقف عليها، لأنه إن وقف بالحذف خالف النحويين وإن وقف بالياء خالف المصحف، أى إن وقف بغير هاء السكت خالف الصناعة النحوية، لأن الفعل عندهم إذا بقى على حرف واحد ووقف عليه ألحق هاء السكت وجوباً نحو: عه، ولم يقه، ولم يعه، ولا يقدر بحرف المضارعة لزيادته، وإن وقف بهاء السكت خالف المصحف..(١٧٤).

مثال ٥: لم يتسنه﴾ البقرة/ ٢٥٩ .

اتفق القراء على إثبات الهاء فى الوقف لأنها توافق رسم المصحف وحذفها حمزة والكسائى فى حالة الوصل(١٧٥)، ومن أثبتها فى الوقف والوصل نظر إليها على أنها؛ إما هاء أصلية، (١٧٦) أو هاء سكت يحملها فى حالة الوصل على حالة الوقف(١٧٧)، وهنا إشكال يتولد فى الفعل الذى لم يفقد من حروفه الأصلية (لم يتسنه) وعدم وجودها فى الفعل الذى فقدت منه حروف، وكذلك الذى فقِد منه حرفان (يؤت – تق) .

ويمكن أن نقدم القضية على النحو التالى:

الفعل الذى فُقِد منه حرفان إذا وقف عليه لزمته هاء السكت ولكنّ كتّاب المصحف لم يضعوا الهاء فى الخط لوضوح ذلك الأمر واشتهاره بين عامة العرب. أما الفعل الذى لم يفقد منه شىء من الأصول، وجاءت القراءة فيه فى الوقف بهاء السكت فأثبتوها لأنها ليست واجبة فلو لم تثبت ما قرأ بها القراء وإضافة إلى ذلك أن الأفعال التى فقد منها حرفان ليست على رؤوس الآيات وليست محل وقف، وإنما الوقف فيها اضطرارى وهو متعلق بالقارىء لا بالقراءة .

المقاطه الصوتية:

١– لم يتسنن يتسنى يتسنه

س- َن ن - َن س - َن ن - َ س - َن ن - َه

المقطع المتحول لها السكت (مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح)

⟵ مقطع قصير + مقطع مغلق بحركة قصيرة.

يؤت ى - ء ت (ص ح ص ص) مقطع طويل مغلق بصامتين، لكن هذه الكلمة دائماً متصلة بما بعدها فتحرك التاء، وبذلك يحدث نظام التحول فى المقاطع (ومنْ تِق السيئات) ت - قْ (ص ح + ص) بعد وصلها بكلمة السيئات. ت - ق - س (ص ح + ص). ومن هنا نجد أن للهاء وظيفة صوتية فى مجالَ المقطع تتحول الكلمة الموقوف عليها بمقطع طويل مغلق بصامتين إلى مقطع من النوع الثالث مغلق بصامت واحد.

٢- دخول هاء السكت على اسم الفعل واسم الفعل المضارع

دخلت هاء السكت على أسماء فعل الأمر والمضارع حملا على فعل الأمر والمضارع المجزوم مثال: ﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾ الإسراء/٢٣.

ومن العرب من يزيد فيها هاء السكت، فيقول: أفاه، ومعنى اللفظة أنها اسم فهل يريد أن يقول: أتضجر (١٧٨). ومما تحمل دخول هاء السكت للحفاظ على بنية الكلمة قياساً وحملاً على الأفعال التى فقدت منها حروف مثل (إى) بمعنى نعم فى قوله تعالى: ﴿قل إى وربى إنه لحق﴾ سورة يونس/٥٣ حرف جواب. وتستعمل فى القسم كثيراً، وسمع من كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به فيقولون: ويوصلون بهاء السكت، فيقولون: إيوه(١٧٩)، وقالوا: إن ما سمع أبو حيان من لفظة إيوه وشيوعها فى مصر ليس حجة لأنه لا يحتج بكلامهم فى ذلك الوقت.

أُف ⟵ أفًا ⟵ أفاه

ء - ف ف ⟵ ء - ف ف - َ - َ ⟵ ء - ف ف - َ - َه

وهذا أشبه فى قلة الحروف فى الأفعال، وفى طريقة هاء السكت أشبه الاسم المندوب، فجمع بين شبه الاسم وشبه الفعل.

إِى ⟵ إيو ⟵ إيوه

ء - ِى ⟵ ء - ِى و ⟵ ء - ِى + و - َه

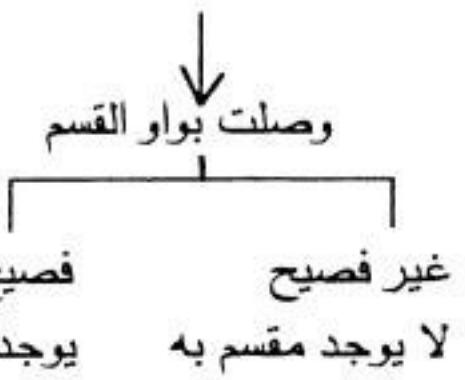

حذف المجرور (المقسم به) بواو القسم والاكتفاء بها، لم يسمع من موثوق به، وهو مخالف للقياس.

رابعاً: هاء التأنيث وهاء السكت

تنطق الكلمة بتاء التأنيث عند الوقف هاءً، ولذلك درج بعض القدامى على إصطلاح هاء التأنيث بدلاً من تاء التأنيث فكلمات مثل: بقيّة، وحمزة، ورحمة، وطلحة، وفاطمة، تنطقها عند الوقف بقيهْ، وحمزهْ .... وفاطمهْ. وتلك هى اللغة الفاشية الغالبة عند العرب، وعليها اللغة الفصحى، وقد وجدت إلى جوار ذلك لغة لطيىء تنطق فى الوقف تاءً ساكنة فى مثل الكلمات السابقة فيقولون: بقيتْ، وحمزتْ... وفاطمتْ، ولها شواهد معتبرة، والسؤال المطروح فى هذه القضية: ما العلاقة بين تاء التأنيث والهاء؟ وهل هذه الهاء هى هاء السكت؟ وما أشكال تلك الظاهرة فى القراءات القرآنية؟ وإذا كانت إحداهما قد تطورت إلى الأخرى فكيف تم هذا التطور وما هى خطواته؟ ويحاول البحث أن يعرض تلك القضية طلبا لإيجاد التفسير المناسب للموضوع بطريقة توضح تلك الظاهرة.

١- بيّن سيبويه أن الهاء التى نسمعها فى الوقف على المؤنث بتاء التأنيث إنما هى هاء السكت تلزم طلحهْ وما يشبهه فى الوقف، وأوضح أن هذا فى أكثر كلامهم فى النداء(١٨٠).

٢- أما الأخفش فسماها (هاء التأنيث) لا هاء السكت فإذا وقفت على المنادى المرخم ترد المحذوف مثل يا طلح.... فإذا وقفت فتقول: يا طلحهْ(١٨١).

٣- وفى قراءة الكسائى ومذهبه أنه يميل الهاء التى تكون فى

الأصل تاء نحو: رحمهْ ونعمهْ، حيث أمالها بعض العرب تشبيها بألف التأنيث. وهذا موضع تأييد الأخفش والدانى وصاحب إبراز المعانى[١٨٢].

٤- قال أبو حيان الأندلسى: إذا وقفت على المرخم بحذف التاء ألحقته هاء ساكنة، أما هل هى التاء التى تكون حذفت، أم هاء سكت، ففيه خلاف، ويجوز على قلة أن تقف بغير هاء[١٨٣].

من خلال آراء العلماء تتبين النتائج التالية:

- يتفقون على أن التاء (التى للتأنيث) فى حالة الوقف لا تنطق تاءً ولكنها تنطق صوتيًا هاءً. وهذا هو نهج اللغة الفصحى، وأشار صاحب الإتحاف إلى أنها لغة قريش.

- يتفقون على أن الوقف بالتاء وظهور التاء فى النطق هى لغة قليلة عند العرب وأشار صاحب الإتحاف إلى أنها لغة طيىء.

- يختلفون فى تفسير الظاهرة بين أن تكون الهاء هاء السكت (سيبويه) اجتلبت للتعويض عن حذف التاء التى للمؤنث، وبالتالى أدت وظيفة تاء التأنيث وبين من يقول بأنها ليست هاء السكت إنما هى فى الأصل (الهاء) وعند النطق تتحول إلى تاء (ثعلب وآخرون)[١٨٤].

وإذا نظرنا فى هذه الظاهرة إلى اللغات السامية وجدنا أن العربية الفصحى ليست وحدها تجرى هذا التغير الصوتى لتاء التأنيث فنجد أن لفظة أمّة تنطق تاء التأنيث فى الوقف وفى الآرامية والعبرية ألفاً وتكتب فى الخط العبرى هاءً دليل على تطورها إلى هاء لينة شبيهة بالألف.

- أُمّه ummah فى العربية، Ammah فى العبرية، و Omma فى الآرامية.

- أما لفظة (أُمّه) فى الآشورية والسريانية فقد حافظت على بقاء تاء التأنيث وصلاً ووقفاً فنجدها فى الآشورية ummatu وفى السريانية úmta[١٨٥] وتتضح علاقة الهاء بالصوت اللين من خلال تبادلها فى الرسم مع صوت الألف فى العبرية[١٨٦]. مثال ذلك الفعل المعتل الاخر بالهاء فى العبرية الذى يرسم آخره بالهاء مثال: Ḳanah (بمعنى اشترى) كما يرسم

أيضا بالألف. ونلحظ أن الهاء تقلب ياءً عند إسناده للضمائر المتصلة للرفع، وتتبدل الهاء تاء عند إسناده إلى المفردة الغائبة، وتحذف لامه (الهاء) فى العبرية مثلما تحذف حروف العلة فى اللغة العربية (فى الفعل الناقص) عند إسناده إلى جماعة الغائبين.

– وإذا رجعنا إلى القراءات القرآنية وجدنا الأمر أكثر وضوحاً فى وجود نمطين للتعامل مع الألفاظ التى تنتهى بتاء التأنيث؛ فهناك مجموعة كبيرة ترسم (بالتاء المربوطة)، وتنطق هاءً فى جميع حالات الوقف وتاء فى جميع حالات الوصل. وهذا هو الأعرف عند القراء والأقيس عند اللغويين والنحاة، وهناك مجموعة محددة من الكلمات المنتهية بتاء التأنيث ترسم بالتاء المبسوطة، ويختلف القراء فى الوقف عليها؛ فمنهم من يقف بالهاء ومنهم من يقف بالتاء موافقة لرسم المصحف. وقد أحصاها الدمياطى فى ثلاث عشرة لفظة أساسية وخمسة ألفاظ إضافية، وقد زادت على ستين موضعاً فى القرآن الكريم بالإضافة إلى الكلمات المختلف فى قراءتها مفرداً أو جمع مؤنث مثل: (جمالة صفر/ جمالات صفر) المرسلات/٣٣.

وإذا دققنا النظر فى أحكام الوقف فى القراءات القرآنية وجدنا أن أى كلمة قرآنية يمكن أن يقف عليها بنوع ما من أنواع الوقف فهنام وقف اختيارى، وهو وقف مقصود لذاته وآخر اضطرارى لانقطاع النفس وثالث اختبارى، للتعليم والتدريب. وهذه الأنواع الثلاثة مرتبطة باعتبار حال القارىء(١٨٧).

بيان إحصائى بما وِرد رسماً فى الخط العثمانى:

١– رحمة، (رَحْمَتْ)، وردت فى سبع مواضع: (البقرة/٢١٨، الأعراف/٥٦، هود/٧٣، مريم/٢، الروم/٥، الزخرف/٣٢).

٢– نعمة، (نعمتْ)، وردت فى أحد عشر موضعاً (البقرة/ ٢٣١، المائدة/ ١١، آل عمران/١٠٣، إبراهيم/٢٨، ٣٤، النحل/٥٣، ٧١، ٧٢، ٨٣، لقمان/ ٣١، فاطر/٣، الطور/٢٩).

٣- سنة، (سُنَّتْ)، وردت فى خـمـسـة مـواضع (الأنفـال/٣٨، غافر/٨٥، وثلاثة مواضع فى (فاطر/٤٣).

٤- امـرأة، (امـرأَتْ)، وردت فـى سبع مـواضع (آل عـمـران/٣٥، يوسف/ ٣٠، ٥١، القصص/٩، التحريم/ ١٠، ١١).

٥- بقيّة، (بقيَتْ)، وردت فى (هود/٨٦).

٦- (قرة)، (قرّتْ)، وردت فى (القصص/٩)

٧- فطرة، (فطرتْ)، وردت فى (الروم/ ٣٠).

٨- شجرة، (شجرتْ)، وردت فى (الدخان/٤٣).

٩- لعنة، (لعنتْ)، وردت فى (آل عمران/٦١، النور/٧).

١٠- جنة، (جنّتْ)، وردت فى (الواقعة/٨٩).

١١- ابنة، (ابنتْ)، وردت فى (التحريم/١٢).

١٢- معصية، (معصيتْ)، وردت فى (المجادلة/٨، ٩).

١٣- كلمة، (كلمتْ)، وردت فى (الأعراف/١٣٧).

أما ما رسم بالهاء (أى بالتاء المربوطة) فلا خلاف فيه بين القراء أن ينطق تاءً فى الوصل هاء فى الوقف. أمـا مـا ورد فى هذا الجـدول فالخلاف فيه بين القراء فى الوقف: هل يقفون بالتاء أم بالهاء(١٨٨).

وقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائى وكذلك يعقوب ووافقهم اليزيدى وابن مـحـيـصن والحـسن بالهـاء على هاء التـأنيث (يريد تاء التـأنيث) المكتوبة بالتاء، وسماها الدمياطى لغة قريش.

ووقف الباقون (أى بقية القراء الأربعة عشر) موافقة لصريح الرسم وهى لغة طىء.

أما الكلمات الأخرى وهى ست كلمات (يا أبت) وردت فى يوسف (٤/ ١٠) ومريم (٤٢) والقصص (٢٦) والصافات (١٠٢) فوقف عليها بالهاء ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ووافقهم ابن محيصن، لكونها عندهم تاء تأنيث لحقت (الأب) فى باب النداء خاصة، والباقون

بالتـاء على الرسم (هيـهـات) المؤمنون/٣٦ بالهـاء (اليـزيدى وقنبل والكسائى) ووافقهم ابن محيصن والباقون بالتاء (مرضات) البقرة/٢٠٧، ٢٦٥ والنساء/١١٤ والتحريم/١.

وفـى (ولاتَ حين مـنـاص) ص/٣، (اللات) النـجـم/١٩ وقف الكسائى عليها بالهاء والباقون بالتاء.

وقال أبو حيان: وإن كان فى مؤنث بالهاء يريد التاء (يريد التاء المربوطة) فالأعرف أن يبدل التاء هاء فتقول: رأيت قائمهْ. وتقف عليها بالتاء بعض العرب مطلقاً، وتجرى فى القياس مجرى سائر الحروف عند بعض العرب، فتقول: رأيت قائمتا، وأكثر أهل هذه اللغة تسكنها لا غير، وقال ابن يعيش: ومن العرب من يقف بالتاء ومنه قولهم: (عليه السلام والرحـمت)، وقـولهم: (هذا طلحت)، وفى الرجـز: (الله نجـاك بكفى مـسلمت)، وقـوله: (كظهـر الجـحـفت) وهى لغـة فـاشـيـة حكاها أبو الخطاب[١٨٩].

وقد أجـمل ابن الأنبارى موقف القراء بقوله: المواضع التى يوقف عليها بالهاء (بالتاء المربوطة) الحجة فيها اتباع المصحف، وإنما كتبوها فى المصحف بالهاء لأنهم بنوا الخط على الوقف، والمواضع اللاتى كتبوها بالتاء الحجة فيها أنهم بنوا الخط على الوصل[١٩٠].

ويمكن من خـلال العـرض السـابق لعلاقـة الهـاء بالتـاء وكـذلك بأصوات العلة (الألف اللينة والياء) فى الساميات والقراءات القرآنية أن نحدد ملامح التغير الصوتى فى الخطوات التالية:

الأصل فى الألفـاظ المؤنثة هو التاء، فهـو مورفيم أصيل وعـلامـة أساسية من علامات المؤنث فى اللغات السامية، فيمكن أن نتصور أن التاء كانت موجودة بشكلها المباشر: (فاطمت – حمزت – قائمت) مثل: أخت وبنت فى اللغة العربية.

المرحلةِ التالية حِدثت فى أسلوب النداء[١٩١] وبخاصة النداء المرخم فقالوا: أفاطم.. أحـمز.. فى الوصل، فإذا وقفوا عادت التاء إلى الكلمات مرة أخرى. لكنه مع كثرة استخدام الترخيم، وجد اتجاهان للحفاظ على

حركة الميم (الحرف الأخير) فاطمَ (بالفتح) فى لغة من ينتظر، وفاطمُ (بالضم)فى لغة من لا ينتظر، والحفاظ على حركة الميم ضرورى لكونه يشير إلى أسلوب الترخيم، ويشير إلى وجود حرف محذوف والعرب فى حالة الوقف لحماية العناصر الدلالية والنحوية التى تؤديها الحركة (وهذا هو ما ذهب إليه سيبويه، فقالوا: أفاطمهْ) . فالهاء هاء السكت، ولكنها تحولت من مجرد لاحقة صوتية عند الوَقف للحفاظ على حركة الترخيم فى لغة من ينتظر (حالة الفتح) تحولت إلى مورفيم مولد للتأنيث، ولذلك أطلقوا عليها هاء التأنيث ثم عممت الظاهرة على كل مؤنث فى حالة الوقف م – ت ← م – ← م – هـ.

ويؤيد هذا التفسير من وجهة نظرى أمران:

١ – هو قراءة بعض الكلمات فى القرآن الكريم فى حالة النداء والوقف عليها، وتفسير العلماء لقراءة من قرأ بالهاء فى الوقف وخالف رسم المصحف وهو رسم بالتاء وهى ست كلمات معظمها جاء فى أسلوب نداء مباشر أو جملة أولها النداء والتنبيه والاستفهام لفظة (يا أبت) يوسف/ ٤ ، فوقِف عليها ابن كثير وابن عامر بهاء فى الوقف(١٩٢) فيقرآن فى الوقف يا أبهْ، وأصلها يا أبى، فعوض عن الياء تاء التأنيث. قال الدمياطى: لكونها عندهم تاء التأنيث لحقت الأب فى النداء خاصة. ولو قال الدمياطى لكونها هاء السكت لحقت الأب فى النداء خاصة لكان أوقع.

ولعل سائلاً يسأل فلماذا كتبوها فى المصحف تاء قلت ليدللوا على جواز القراءة بالتاء وقفاً ووصلاً، وهى لغة من لغات العرب.أما رسم اللفظة (اللات) النجم/١٩ حتى لا تلتبس فى اللفظ والنطق بلفظ الجلالة فقد أشير إلى أصلها بالتاء وقف عليها بالهاء الكسائى(١٩٣) ، وفيه تفصيل لماذا رسمت بالتاء المبسوطة ؟

قال المبرد فى تفسير قراءة الكسائى (لاه) النجم/١٩ ، الحجة فى ذلك أنها دخلت عليها الهاء لتأنيث الكلمة، كما يقال: ثمة وربة، وقال القشيرى: وقد يقال: ثمت، وربت، بمعنى (ثم) و (رب) فكأنهم زادوا فى (لا) الهاء، فقالوا: (لاه)، كما قالوا فى ثم: ثمه وعند الوصل صارت تاء(١٩٤) .

٢ – حمل إحداهما على الأخرى: أشار عدد من العلماء إلى العلاقة

التى ترتبط هاء السكت بتاء التأنيث وكيف أن تلك العلاقة قد أنتجت نوعاً من التشابه فى الوظيفة الصرفية نابع من التشابه فى الأداء الصوتى عند الوقف مما أدى إلى حمل إحداهما على الأخرى فى بعض الأساليب والمواقع سواء فى الشعر أو فى القراءات.

مثال ١ : فمما جاء فى تفسير قول أبى وجزة:

والعاطفون تحين ما من عاطفٍ والمفضلون يداً إذا ما أنعموا

قيل أراد: العاطفونه، فأجراه فى الوصل على حد ما يكون عليه فى الوقف، وذلك أن يقال فِي الوقف: هؤلاء مسلمونهْ.. فتلحق الهاء لبيان حركة النون، ثم إنه شبه هاء الوقف (هاء السكت) بهاء التأنيث، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها تاءً، فكما قلت: هذا طلحتنا فعل هذا، قال: العاطفونه، وفتحت التاء كما فتحتْ فى آخر ربت، وثمت، وذيت وكيت(١٩٥).

مثال ٢ : ومما جاء فى تفسير قراءة الكسائى:

وكان مذهب الكسائى إمالة هاء التأنيث إلا أن تكون فى الوصل تاءً نحو (رحمة – نعمة) ... وقال بعض العلماء أمالها (أى هاء التأنيث) بعض العرب كما تميل العرب الألف.. وقال (الأخفش) : وإنما أمليت لشبه الهاء بالألف لخفائها واتحاد مخرجهما، وخفى هاء التأنيث بذلك حملا لها على ألف التأنيث لتآخيهما، وكون ما قبلها لا يكون إلا مفتوحاً أو ألفاً، ولم تقع الإمالة فى الهاء الأصلية وتقع فى الألف الأصلية لأن الألف أصلها الياء، والهاء لا أصل لها (يريد لا أصل لها فى الإمالة)(١٩٦).

مثال ٣: ملاحظة الزمخشرى لطريقة العرب فى سرد الأعداد فيقولون: كما سمع ثلاثة، أربعهْ.... بالهاء، وإلقاء حركة الهمزة عليها(١٩٧). وملاحظة الزمخشرى تفيد بأن العرب يشبهون الهاء بالتاء حيث يلقون عليها حركة الهمزة بعد تخفيفها متصلة، وتمثيل ذلك (ثلاثه – أربعه) تنطق: (ثـ لا ثـ هر بـ عـه) ث – ل – – ث – هـ – ر ب – ع – هـ (ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص).

ومثل أى ظاهرة لغوية تبدأ فى بيئة لغوية خاصة ثم تأخذ فى

التوسع والانتشار حتى تصير ظاهرة عامة.فقد تجاوز اجتلاب هاء السكت حـالة نداء المؤنث مـحـذوف التـاء (المرخم) إلى كل حـالات المؤنث، وصارت هناك صيغة أحدث. واصطلاح الخِط العربى لها التاء المربوطة للتغلب على مشكلة النطق حال الوقف وحال الوصل دون أن تلتبس بالتاء الأصليـة. وقد بقى الأصل الأول كـما هو عند بعض العرب ومنهم طـيء وبقيت بعض الكلمات على حـالهـا فى لغة قريش مثل أخت وبنت مما يمكن أن يقع ضمن الركام اللغوى للمرحلة الأولى.

الاتجاه الثانى هو زيادة حركة الصامت الأخير مع قليل من النبر للحفاظ على الحركة. وهذا هو ما سلكته بعض اللغات السامية الأخرى وكذلك العامّيات الحديثة عند وقفهم على الكلمات المؤنثة، فيقولون: حمزا فاطما. أما القبائل التى حافظت على الأصل وصلاً ووقفاً وأبقت على التاء فقالوا: طلحتْ وحمزتْ. فقد وقف التغيير عندهم،وأما الفريق الثالث (كما رصده أبو حيان) فقد اعتبروا أن التاء من أصل الكلمة وزادوا حركة مجانسة للتنوين فى التاء للحفاظ على التاء.

قائمتِ قائمتا فى حالة الوقف م – ت – –

ص – ⟵ ص – ص (هـ).

ترخيم ⟵ ص – ص (ت) + – –.

ص – ص (ت).

خطوات التوليد الصوتى

١– الأصل: حمزت، طلحت، فاطمت... الصامت الأخير ص – ص (لغة طىء) مقطع مغلق.

٢– حالة النداء المرخم يا حمزَ، يا طلحَ، يا فاطمَ ص ح ص ⟵ (حذف الصامت الأخير للترخيم) ص ح فى لغة من لا ينتظر (ص –) وفى لغة من ينتظر (ص –) مقطع مفتوح.

٣– زيادة هاء السكت للحفاظ على حركة الصامت وتبينها.

فى لغة من ينتظر ص – ⟵ ص – ص (الهاء)

ص – ⟵ لغة من لا ينتظر لم يعمل فيها القانون الصوتى.

٤- تعميم الظاهرة فى لغة قريش فى النداء وغير النداء وهو اختيار اللغة الفصحى.

- فى اللغات السامية وبعض العاميات الحديثة (عامية مصر)

ص - - زيادة حركة منبورة قليلاً.

- فى لغة فريق من طىء (نادر) ص - ص (ت) تعامل مع التاء على كونها من أصل الكلمة، وحدث التطور فى اتجاه آخر لكنه لم يكتمل حيث غلبت الفصحى على ما سواها.

نتائج البحث

ونلحظ أن التاء التى حذفت عُوِّض عنها بالهاء مسبوقة بالفتحة دائما (وذلك فى الاتجاه الأول فى أسلوب الترخيم)، وأن الحالة التى سبقت فيها بضمة (الاتجاه الثانى) لم يعمل القانون الصوتى، وبقيت فى لغة من لا ينتظر مما يدل على أن الهاء تتآلف مع الفتحة أكثر من أى حركة أخرى. وهذا ملمح صوتى خاص بما عرف عند العرب بالأصوات الحلقية.

بقاء الأصل كما هو فى لغة طىء، وكذلك فى تعريب الأتراك للكلمات المؤنثة، فيقولون: عصمت فى عصمة، وعزت فى عزة، وشوكت فى شوكة، ومدحت فى مدحة، وحكمت فى حكمة، وهمت فى همة، وثروت فى ثروة، ونجدت فى نجدة، ومرفت فى مروة... وهو أكثر من أن يحصى. وقد دخلت إلى البلاد العربية فى شكل أسماء تركية زمن الخلافة العثمانية. ويبدو أن قبيلة طىء كانت أكثر تأثيراً فى فتح جبال الأناضول من غيرها (قرأت فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على أن أهل أسيا الصغرى كانوا يعدون طيئاً هم العرب لكثرة اتصالهم، وطايايا عندهم تعنى العرب، ومنها طاجيك ستان أى أرض العرب؟!).

وتحولت الهاء التى للحفاظ على حركة الترخيم فى الصامت الأخير من الكلمة إلى بديل عن مورفيم التأنيث فى غير النداء، وبالتالى أدت الدور أو الوظيفة الدلالية التى تؤديها تاء التأنيث عند الوقف وصارت لغة فاشية فى قريش، وعليها أغلب القراء وصارت هى المعلم الأعرف والأقيس عند النحاة. حافظ الرسم العثمانى على اللغتين فرسم الكلمة

الواحدة تارة بالتاء المربوطة (إشارة إلى نطقها حالة الوقف هاء) ورسمها تارة أخرى فى أحيان قليلة بالتاء المبسوطة.

أكثر القراء على اللغة الغالبة وبعضهم على اللغة القليلة ولا تكاد توجد قراءة على اللغة النادرة.

أما من قال بأنها هاء للتأنيث فقد نظر إلى الوظيفة التى تؤديها هاء السكت بأنها حافظت على الوظيفة التى كانت تؤديها التاء قبل حذفها ويضاف إلى ذلك من أمال الهاء تشبيها لها بألف التأنيث لأن الألف فى نظره أصلها الياء، وهى ممالة والهاء الأصلية لا تمال فنحمل هاء الزيادة على الألف. ومن قال أصلها التاء واستبدلت بالهاء أو أن الهاء ألحقت عوضاً عن التاء وما شابه ذلك فقد نظر إلى الناحية الصوتية.

نتائج عامة

١. اختار البحث صوتاً له وظائف متعددة، وصنع له بناءً موضوعياً ومنهجياً يمكن أن يفتح المجال لدراسة أصوات أخر.

٢. توصل البحث من خلال النتائج التفصيلية المذكورة فى ثنايا البحث إلى رؤية شاملة عن صوت الهاء فى العربية وكيف تولدت أشكالها وتعددت وظائفها.

٣. رصد البحث علاقة الضمير المنفصل بالضمير المتصل مما يفتح المجال لدراسة بنية الضمائر فى اللغة العربية.

٤. رصد البحث علاقة اللهجات العربية القديمة باللغة الفصحى من جهة، وعلاقتها بالقراءات من جهة أخرى.

٥. فسر البحث مجموعة من العلاقات اللغوية عن طريق رصد حركة الهاء فى المجال الصوتى (المماثلة والمخالفة والحذف والتخفيف)، وفى المجال النحوى (الندبة والنداء والأسماء المبنية)، وفى المجال الدلالى (حمل صيغة على أخرى لقرائن صوتية أو نحوية أو قرائن تتعلق بتشابه البنى الصرفية).

٦. كشفت الدراسة عن أصالة البحث اللغوى عند العرب فيما قدمه العلماء من النحاة والقراء والمفسرون من رؤى علمية نافعة ودقيقة.

٧. أفاد البحث من منهج المدرسة التوليدية بصورة مباشرة فى دراسة البنية الصوتية والنحوية لصوت الهاء.

الهوامش

١- هذه الرؤية المنهجية تعتمد على ما قدمه كارل ديتر بونتنج فى كتابه المترجم بـ المدخل إلى علم اللغة، ترجمة د. سعيد بحيرى، انظر فى ذلك من ص ٧٧ - ١٠١. وفى الفونيم ومصطلحاته ووظائفه والنظريات المتعددة فيه اعتمدنا على ما قدمه د. أحمد مختار عمر فى كتابه دراسة الصوت اللغوى ص ١٦١ - ٣٥٥.

٢- انظر: سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣.

٣- انظر: كمال بشر، دراسات فى علم اللغة، ص٧٧.

٤- انظر: سيبويه، المرجع السابق، ٤٣٤ - ٤٣٦.

٥- انظر: كما بشر، علم الأصوات، ١٢٢.

٦- انظر: سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ١٨٤.

٧- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق. ٣١٩.

٨- انظر: سعد مصلوح، المرجع السابق، ١٨٥.

٩- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ٣١٩.

١٠- انظر: رمضات عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٥٩.

١١- انظر: سعد مصلوح، المرجع السابق، ١٨٥.

١٢- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ٤٢٣.

١٣- انظر: المرجع السابق، ١٢٢.

١٤- انظر: رمضان عبدالتواب، المرجع السابق، ٥٩.

١٥- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ١٧٩.

١٦- انظر: حازم كمال، معجم مفردات المشترك السامى، ٤٣٤.

١٧- انظر: كمال بشر، دراسات فى علم اللغة،٦٧.

١٨- انظر: ابن الباذش، الإقناع فى القراءات العشر، ٧٣٢، ٧٢٣/٢.

١٩- المرجع السابق، ٧٥٣/٢.

٢٠- المرجع السابق، نفسه.
٢١- انظر: حازم كامل، المرجع السابق نفسه، ٤٢٩ وانظر: ريحى كمال، ٨١١.
٢٢- الزمر ١٨ .
٢٣- النور ٢٤ .
٢٤- سيبويه، الكتاب ٢/٣٥١.
٢٥- أبو حيان، الارتشاف ٢/٩٢٩ .
٢٦- المرجع السابق، ٢/٩٢٨ .
٢٧- نَقل ذلك أبو حيان، المرجع السابق ٢/٩٢٩ .
٢٨- المرجع السابق، نفسه.
٢٩- وهذا ما عليه اللغة العربية الفصحى.
٣٠- وتنتشر فى اللهجات المعاصرة فى بنى سويف والفيوم والمنيا عند قبائل عرب السعادى،وهم ينتمون إلى بنى سليم من القيسية.
٣١- وتنتشر هذه اللغة عند سكان مدينة القاهرة والمشهور والمعروف تاريخياً أن همدان والصدف وبلى من قبائل اليمن أول من أقام بالوجه البحرى والفسطاط خصوصاً.
٣٢- انظر أبو حيان، الارتشاف وشواهده فى الارتشاف وحواشيه، انظر ٢/٩٢٨ و ٩٢٩ وما بعدها.
٣٣- انظر أبو حيان، المرجع السابق ٢/٩٢٨ وانظر: ابن يعيش شرح المفصل ٥/٢٣٦ .
٣٤- حازم كمال، معجم مفردات المشترك السامى ٤٣٢ . وانظر: ريحى كامل ٨١.
٣٥- أبو شامة، إبراز المعانى فى حرز الأمانى فى القراءات السبع ١/١٠٣ . والآيات على الترتيب: طه ١٠ والكهف ٦٣، والفتح ١٠ .
٣٦- أبو حيان، الارتشاف ٢/٩١٧ .
٣٧- ابن الباذش، الإقناع، ٢/٥٩٥ .

٣٨- أبو شامة، المرجع السابق، ١/١٠٥ .
٣٩- أبو حيان، المرجع السابق، ٢/٩١٧ .
٤٠- انظر: المرجع السابق. ٢/٩١٨ .
٤١- انظر: رمضان عبدالتواب، فصول فى فقه العربية ص ١٥٢ و ١٥٣ .
٤٢- انظر: ابن الجرزى، تقريب النشر، ٩٣ .
٤٣- سرزة الكهف ٦٣ .
٤٤- سورة الفتح ١٠ .
٤٥- سورة الأنعام ٤٦ .
٤٦- سورة طه ١٠ .
٤٧- ابن الباذش، الإقناع ١/٤٩٦ .
٤٨- انظر: تقريب النشر لابن الجزرى ٩١ .
٤٩- سورة الكهف ١ .
٥٠- سورة غافر ٣ .
٥١- سورة إبراهيم ١٧ .
٥٢- سورة التوبة ٤٠ .
٥٣- سورة فاطر ١٣ .
٥٤- سورة الكهف ٤٥ .
٥٥- انظر: تقريب النشر، لابن الجزرى، ٩١ . وابن الباذش فى الإقناع ١/٤٩٦ و ٤٩٧ .
٥٦- سورة الكهف ٣٧ .
٥٧- سورة النمل ٤٢ .
٥٨- انظر ابن الجزرى، المرجع السابق ٩١، وانظر: ابن الباذش، المرجع السابق ٤٩٦، ٤٩٧ .
٥٩- سورة البقرة ٢٦ .
٦٠- سورة البقرة ٢٥٨ .
٦١- سورة الصف ٥ .

٦٢- سورة آل عمران ٧ .
٦٣- سورة الحاقة ٣٠ .
٦٤- سورة الدخان ٤٧ .
٦٥- سورة النحل ٦٩ .
٦٦- سورة الأنعام ٣٧ .
٦٧- سورة النحل ١٢١ .
٦٨- سورة الفرقان ٦٩ .
٦٩- سورة آل عمران ٧٥ .
٧٠- سورة آل عمران ١٤٥ .
٧١- سورة النساء ١١٥ .
٧٢- سورة طه ٧٥ .
٧٣- سورة الزلزلة ٧، ٨ .
٧٤- سورة النور ٥٢ .
٧٥- سورة البلد ٧ .
٧٦- سورة النمل ٢٨ .
٧٧- سورة الأعراف ١١١ ، والشعراء ٣٦ .
٧٨- سورة الأنعام ٩٠ .
٧٩- انظر: الألوسى روح المعانى، ١٩٨/١٨ . وانظر: أبو شامة إبراز المعانى ٢٧٨/١ ، العكبرى فى التبيان فى علوم القرآن ٢٧٢/١ ، وابن الباذش، المرجع السابق ٤٩٨/١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، والأندلسى، المحرر الوجيز ٣١٩/٢ .
٨٠- انظر: أبو حيان، الارتشاف ٩١٧/٢ .
٨١- انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣٤٠/٤ .
٨٢- المرجع السابق نفسه .
٨٣- أبو حيان، المرجع السابق، ٩١٧/٢ .
٨٤- انظر: ابن يعيش فى شرح المفصل ٤٠/٥ .
٨٥- انظر: الرضى على الكافية ١٤/٢ .

٨٦- انظر: الحجة فى القراءات السبع ١/٢٣٤.
٨٧- السابق نفسه.
٨٨- انظر: الفيروز آبادى فى القاموس المحيط ٣/٤٩٧ وابن هشام فى مغنى اللبيب ١/١٢٩.
٨٩- انظر: حازم كمال، المرجع السابق ٤٣١/ وريحى كمال **المرجع السابق نفسه.**
٩٠- الألوسى، روح المعانى ١٦/٢٢١.
٩١- انظر: الرازى، مختار الصحاح، باب الذال ١/٩٢.
٩٢- تدخل الهاء أحياناً على ذاك فيقولون: هذاك، لسقوط اللام.
٩٣- انظر: ابن يعيش ٥/٤١.
٩٤- جاء ذلك فى آل عمران/٦٦، والنساء/١٠٩، محمد/٣٨.
٩٥- فى آل عمران/١١٩.
٩٦- الرضى، على الكافية ٤/٤٢٣.
٩٧- السابق نفسه.
٩٨- الثعالبى، التفسير ١/٨٥.
٩٩- تفسير البيضاوى ١/٢١٥ و ٢١٦.
١٠٠- ورد هذا الأسلوب فى القرآن الكريم أكثر من مائة وأربعين مرة، انظر: المعجم المفهرس/١٠٩.
١٠١- فى الشرح على الكافية ١/٣٧٥.
١٠٢- ابن خالويه، الحجة فى القراءات السبع ١/٢٣٤.
١٠٣- سورة النور ٣١.
١٠٤- سورة الزخرف ٤٩.
١٠٥- سورة الرحمن ٣١.
١٠٦- الزركشى، البرهان ١/٣٩٥ و٣٩٦.
١٠٧- انظر: ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٢٩، والفيروز آبادى: القاموس ٣/٤٩٧.
١٠٨- انظر: الرضى على الكافية، ٣/١٠٠.

١٠٩- أورد النحاه (ها أفعل كذا) مثالاً لدخول التنبيه على الفعل. انظر: ابن يعيش، شرح المفصل ٥/ ٤٠.

١١٠- انظر: الفيروز آبادى، القاموس ٣/٤٩٧، وانظر ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٢٩.

١١١- انظر: الرضى، المرجع السابق ٢/٤٨٢ و٤٨٣.

١١٢- انظر: ابن يعيش، المرجع السابق، ٥/ ٤٠.

١١٣- أبو حيان الأندلسى، الارتشاف، ١/٧٩٨.

١١٤- صنفنا أنواع الوقف باختصار من خلال الإرشادات الموجودة فى نهاية المصحف الشريف، وانظر: الدمياطى، إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٧.

١١٥- قال ابن الجزرى: اعلم أن أصل الوقف هو السكون، ويجوز بالروم والإشمام عن جميع القراء. وورد النص بهما عن أبى عمرو والكوفيين، والمختار الأخذ بهما للجميع. انظر: تقريب النشر ١٥٨.

١١٦- الفرق بين الوقف والسكت عند القراء، أن الوقف هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، ويأتى فى رؤوس الآيات وأوساطها، ولا يأتى فى وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما ولابد معه من التنفس وأما السكت فهو قطع الأصوات زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس انظر: ابن الباذش، الإقناع حاشية ١، والتعريف باختصار عن النشر ١/٢٣٨ - ٢٤٣.

الوقف أول السكوت الذى ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن والابتداء أول الكلام الذى هو بحركة اللسان وتصرفه، ابن الباذش ١/٥٠٤.

١١٧- قطع له بذلك ابن مهران وغيره... انظر إتحاف فضلاء البشر ١/ ١٤٠.

١١٨- سورة الفرقان/٢٨.

١١٩- سورة يوسف/٨٤.

١٢٠- سورة الزمر/٥٦.
١٢١- إبراز المعانى ١/٢٢٤.
١٢٢- ابن زنجلة حجة القراءات ١/٢٢٤.
١٢٣- الزركشى البرهان فى علوم القرآن ٣/٣٥٣.
١٢٤- معانى القرآن للنحاس ٢/٤٥٢.
١٢٥- السابق ٢/١٨١.
١٢٦- فتح القدير للشوكانى ٣/٤٨، تفسير الثعالبى ٢/٢٥٤، والجلالين ١/٢١٦، وتفسير أبى السعود ٤/٢٠١، والبيضاوى ٢/٢٠٤، إملاء ما من به الرحمن ٢/٥٨، أبو شامة فى إبراز المعانى ١/٢٢٩.
١٢٧- اللسان مادة (عرض) ٧/١٧٢.
١٢٨- اللسان مادة (طرق) ١٠/٢٢١.
١٢٩- اللسان مادة (هناه) (عن نوادر أبى زيد)، ١٥/٣٦٦.
١٣٠- السابق نفسه.
١٣١- الكتاب ٤/١٦٥.
١٣٢- الكتاب ٤/١٦٥.
١٣٣- الكتاب ٤/١٦٤، ١٦٥.
١٣٤- السابق ٤/١٦٤.
١٣٥- الكشاف ٤/٥٢٢. وقال ابن يعيش: قالوا: مجيء مه؟ ومثل مه؟ ليقع السكت عليه ولا يخرج الاسم عن أبنية الأسماء، انظر شرح المفصل ٥/٢٤٠.
١٣٦- تفسير النسفى ٤/٢٤١.
١٣٧- إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٩.
١٣٨- سورة الصف/٢.
١٣٩- الكشاف ٤/٥٢٢.
١٤٠- كتاب سيبويه ٣/٤٢٠.
١٤١- الكتاب ٣/٤٢٠.

١٤٢- الكتاب ٢/٤٢١، ٤٢٢.
١٤٣- الكتاب ٤/١٦١.
١٤٤- إبراز المعانى ١/٢٨٢.
١٤٥- إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٩.
١٤٦- الكتاب ٤/١٦٢.
١٤٧- السابق ٤/١٦١.
١٤٨- انظر: ابن يعيش، المرجع السابق ٥/٢٣٦.
١٤٩- إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٦، وروح المعانى ١٦/١٢٤.
١٥٠- إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٩.
١٥١- القرطبى ١١/١٤١.
١٥٢- إعراب ثلاثين سورة/ ١٨٠.
١٥٣- معانى القرآن ٥/٢١٧.
١٥٤- معانى القران ٥/٣٥٦.
١٥٥- بيت حسان ذكره إميل يعقوب فى المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية، وخرجه من أكثر من عشرة مصادر ومن بينها ديوان حسان انظر إميل يعقوب ٢/١٠٥١، وجاء فى اللسان بعده بيتان على القافية نفسها، اللسان مادة (شعب).
١٥٦- جاء بيت محمد بن زياد فى مقطوعة قافيتها مقيدة بهاء ساكنة، انظر معجم البلدان ٢/٤٧١.
١٥٧- قال سيبويه: دخلت الهاء فى قولهم: انطلقته، يريدون انطلقت، كما زعم الخليل لأنها ليست بتاء إعراب وما قبلها ساكن، الكتاب ٤/١٦٣.
١٥٨- الكتاب ٤/١٦٤.
١٥٩- الكتاب ٤/١٦٣.
١٦٠- سورة الحاقة من الآية ٢٥ إلى ٢٩.
١٦١- الإقناع لابن الباذش ٣٠٧ - ٣٠٨.
١٦٢- المحرر الوجيز ٥/٣٦٠، وانظر: إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٠٥، ٣٠٦.

١٦٣- إيضاح الوقف والابتداء ١/٣١١.
١٦٤- معانى القرآن وإعرابه ٥/٢١٧.
١٦٥- الكتاب ٤/١٦٣.
١٦٦- الكتاب ٤/١٥٩، ١٦٠.
١٦٧- الكتاب ٤/١٥٩.
١٦٨- المرجع السابق نفسه.
١٦٩- الكتاب ٤/١٥٩.
١٧٠- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٤/٣٦.
١٧١- الألوسى ١٦/١٤٨.
١٧٢- المرجع السابق ٧/٢١٧، الرازى، التفسير الكبير ١٣/٥٩ ابن عطية، المحرر الوجيز ٢/٣١٩.
١٧٣- لسان العرب (لطأ) ١/١٥٢، ٥٣.
١٧٤- إتحاف فضلاء البشر ١/٢٤٧.
١٧٥- الرازى التفسير للكبير ٧/ ٣٠.
١٧٦- من قال أنها هاء أصليه قال بأنها من السنة والسنة لها أصل من سنهة، وتصغيرها سنيهة فالهاء فى لم يتسنه هى لام الفعل وهى لذلك لا تحذف عند الوقف، التفسير الكبير للرازى ٧/ ٣٠.
١٧٧- وأما من قال أنها هاء السكت، وحملت فى الوصل على الوقف فبين أن أصل السنة، سنوة تقول سانيت الرجل مساناة إذا عاملته سنةً سنةً وتصغر على سنية. وإذا ثبت هذا فالهاء للسكت وليست من أصل الكلمة وكذلك ما جاء عن الفراء أن أصل سنةٍ: سننة لأنهم قالوا فى تصغيرها (على قلة): سنينة ولم يتسنَ أصلها يتسنن، ثم أسقطت النون الأخيرة، ثم أدخل عليها هاء السكت عند الوقف. المصدر السابق نفسه، المحرر الوجيز ١/٣٤٩.
١٧٨- المحرر الوجيز ٣/٤٤٨.
١٧٩- روح المعانى ١١/١٣٦.

١٨٠- سيبويه، الكتاب ٤/١٦٤.
١٨١- انظر رأى الأخفش فى الارتشاف ٥/٢٣١.
١٨٢- انظر قراءة الكسائى وتأييد الدانى والاستدلال بلغة أهل الكوفة حيث يقولون أخذه وضربه بالإمالة وهم من أبناء العرب وهى لغة أكثرهم، وكذلك ما نقله عن الأخفش سعيد بن مسعدة فى إبراز المعانى ١/٢٢٤.
١٨٣- أبو حيان الارتشاف ٥/٢٢٤١.
١٨٤- الإتحاف ١/١٣٧، ١٣٨.
١٨٥- انظر: لفظة أمّة فى معجم مفردات المشترك السامى/٢٦.
١٨٦- انظر ريحى كمال دروس فى العبرية/١٨٣.
١٨٧- هناك أنواع أخرى من الوقف؛ فهناك أقسام للوقف تتبع حكم القراءة وهى مرتبطة بالرواية والتفسير مثل الوقف اللازم والوقف الجائز والوقف الممنوع. وما وافق الرسم العثمانى فى كل ما تقدم فهو قياسى وما خالف الرسم العثمانى اصطلاحى.. انظر ذلك الإفادات المختصرة فى نهاية المصحف، وكذلك إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٨٧، وإتحاف فضلاء البشر ١/١٣٧، والزركشى البرهان ١/٣٦٥.
١٨٨- انظر تفصيل القضية بين القراء فى الإتحاف ١/١٣٧ - ١٣٨.
١٨٩- أبو حيان، الارتشاف تحقيق د. رجب عثمان ٢/١٠٠ وانظر: ابن يعيش شرح المفصل ٥/٢٣١.
١٩٠- إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٨٧.
١٩١- والأمثلة التى نقلها الزخفش حول تحول التاء إلى هاء تحدث عنها فى سياق المنادى المرخم.
١٩٢- الإقناع ٢/٦٦٩.
١٩٣- الإتحاف ١/١٣٩، إبراز المعانى ١/٢٧٥.
١٩٤- القرطبى ١٥/١٤٦.
١٩٥- اللسان مادة (حين) ١٣/١٣٤.